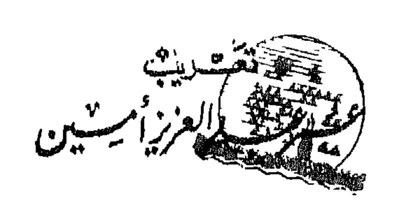

أجاثا كريستي
الشاهدة الوحيدة
المكتبة الثقافية

الشاهدة الوحيدة

أجاثا كريستي

الشاهدة الوحيدة



تعريب
عبد العزيز أمين

المكتبة الثقافية
بيروت

الشاهدة الوحيدة

الفصل الاول

كانت مسز (ماك جيليكودي) تسرع لاهثة في أعقاب الحمال الذي يتقدمها بحقيبة ملابسها التي حيث تستقل القطار وكانت مسز ماك جيليكودي سيدة بدينة قصيرة القامة بينما كان الحمال رجلا طويل القامة واسع الخطى . علاوة على ان مسز ماك جيليكودي كانت تحمل الكثير من اللفافات بعد تلك الجولة التي قامت بها بالمتاجر لمناسبة عيد الميلاد . ومن هنا كان السباق غير متكافىء ، باعد بين الحمال والسيدة ، التي كانت تجد في خطاها ، لتلحق به .

ولم يكن الرصيف رقم ١ ، حينئذ مزدحما بالمسافرين ، لان قطاراً كان قد غادره لتوه ، ولكن الرصيف الاوسط كان يعج بمختلف القوم المسرعين في كل اتجاه غدواً ورواحا من مكاتب إيداع الامتعة ، ومن قاعات تناول الشاي ومن مكاتب الاستعلامات ومن بابي الدخول والخروج ، ومن منافذ انفاق السكك الحديدية .

وقد شقت مسز ماك جيليكودي طريقها بكل مشقة وعناء إلى ان وجدت

نفسها عند مدخل الرصيف رقم ٣ ، فألقت بحملها ، وراحت تبحث في حقيبة يدها عن تذكرة السفر التي تجيز لها الدخول إلى الرصيف الذي قسمي اليه .

وفي تلك اللحظة سمعت صوتاً يعلن في المذياع : القطار الواقف بالرصيف رقم ٣ هو قطار الساعة ٤،٥٤ الى براكها مبتون وميلشيستر وويفرتون وتقاطع كارفيل ورو كستر والمحطات إلى نشاد ماوث. وعلى المسافرين الى براكهامبتون وميلشيستر ان يستقلوا عربات المؤخرة أما المسافرون إلى فانشاي فعليهم مغادرة القطار في محطة رو كستر للتغيير .

وبعد فترة صمت وجيزة ، عاد الصوت ليعلن عن وصول القطار رقم ٦ من برمنجهام وولفر هامبتنو بالرصيف رقم ٩ في تمام الساعة ٤،٣٥ .

وعثرت مسز ماك جيليكودي اخيراً على تذكرة السفر وقدمتها لحارس الباب الذي قال لها بعد الاطلاع عليها :

– إلى اليمين ، عربات المؤخرة .

وتقدمت مسز ماك جيليكودي لتجد الحمال في انتظارها ضجراً ، أمام إحدى عربات الدرجة الثالثة وهو يبادرها قائلاً :

– هنا يا سيدتي .

فقالت له السيدة :

– إن تذكرتي بالدرجة الأولى .

فزمجر الحمال وهو يصعدها بنظراته قائلاً :

– لم أسمعك تقولين ذلك .

وآثرت مسز ماك جيليكودي التي كانت واثقة من انها أحاطته علماً بذلك ألا تجادله في الأمر ، لأنها كانت جد متعبة

رفع الحمال الحقيبة ولحق بمسز ماك جيليكودي التي وجد انها استقرت قاعدة بمقعدها وبعزلتها ولم يكن قطار الساعة ٤،٥٤ من القطارات المزدحمة لأن ركاب

الدرجة الأولى كانوا يفضلون ان يستقلوا قطار الصباح السريع أو قطار الساعة ٦٫٤٠ الملحق به عربة المطعم .

ومدت مسز ماك جيليكودي يدها إلى الحمال بأجره الذي تناوله منها غير راض ، لأنه كان يمني نفسه بأجر يتفق مع مسافرة بالدرجة الأولى . غير ان مسز ماك جيليكودي التي ما كانت لتبخل على نفسها بسفر مريح بعد رحلة الليل الطويلة من الشمال وبعد جولة النهار المحمومة بالمتاجر ، لم تكن لتبسط يدها في العطاء كل البسط .

واسترخت في مقعدها الوثير تتصفح إحدى المجلات . وبعد خمس دقائق تحرك القطار وبعد ثلاث دقائق أخرى سقطت المجلة من يدها ، وراحت مسز ماك جيليكودي تغط في نوم عميق وواصلت نومها طوال خمس وثلاثين دقيقة استيقظت بعدها نشطة وقد زال عنها ما كانت تشعر بـــه من إجهاد . ثم اعتدلت في مجلسها تتطلع من النافذة إلى ما تستطيع ان تراه فقـد كان الظلام حالكاً ، في هذا اليوم من أيام شهر ديسمبر ، ولم يبق سوى خمسة أيام يحل بعدها عيد الميلاد ولم تكن مسز ماك جيليكودي لترى سوى ومضات الضوء الخاطفة التي تنبعث من المدن والمحطات التي لا يقف بها القطار .

وأقبل الساقي ليعلن :

– سيقدم الشاي الأخير الآن .

وواصل الرجل طريقه يردد إعلانه في نبرات مملة رتيبة . وكانت مسز ماك جيليكودي قد روت ظمأها من الشاي قبل قدومها إلى محطة السكة الحديد . ورفعت مسز ماك جيليكودي عينيها تتأمل راضية اللفافات المختلفـة فوق الرف إن هذه المناشف هدية لها قيمتها وهي عين ما تريده مارجريت وتلك البندقية هي خير ما يقدم لروبي ، وذلك الأرنب هو انسب ما يهدى إلى جان ، وهذا المعطف هو أفضل ما وقع عليه اختيارها لنفسها ، واخيراً زفرت زفرة ارتياح ورضا عما قامت به شراء واختياراً .

واستدارت بعينيها إلى النافذة ، التي كانت تهتز تحت تأثير ضغط الهـ
المتخلف عن القطار المندفع في الاتجاه المضاد غير عابىء بالمحطة التي كان
المفروض أن يهدىء من سرعته قليلا عندها .

وفجأة بدأ هذا القطار يخفض من سرعته امتثالاً لإحدى الاشارات. فوا
سيره البطىء لبضع دقائق ، قبل ان يتوقف أخيراً ليستأنف سيره من جد
ويستعيد سرعته ثانية وفي نفس الاتجاه المضاد تلاه قطار آخر أقل سر
اندفاعاً . وفي تلك اللحظة أقبل قطار آخر لينحرف في نفس اتجـاه القط
الذي تستقله مسز ماك جيليكودي ويواصل طريقه في خط حديدي مواز لذ
القطار. وراحت السيدة تتطلع من النافذة المجاورة لها عبر نوافذ القطار الموا
سيراً لقطارها . ولم يكن هذا القطار مزدحماً بركابه .

وفي لحظة تحاذى فيها القطاران سرعة ، بحيث يخيل للرائي انهما توقفا
الحركة ارتفع ستار إحدى نوافذ العربة المواجهة في صوت مسموع فتأملت مـ
ماك جيليكودي ما كشف عنه الستر المرفوع، حيث لم يكن يفصلها عن النا
المكشوفة سوى بضعة أقدام ، وما ان شاهدت ما أمامها حتى نهضت فـ
تلتقط أنفاسها .

لقد وقع بصرها على رجل موليـاً ظهره الى النافذة وكانت يداه تطب
على عنق إمرأة تقف في مواجهته محاولاً في بطء وفي غير رحمة ان يزهق انفا
وكان وجهها محتقناً وعيناها تـكادان تبرزان من مآقيهما . بينما وقفت مـ
جيليكودي تتابع المشهد المثير ، أبصرت جسد الضحية يتخاذل ويتها
بين يدي الرجل .

في الوقت نفسه كان القطار الذي تستقله مسز ماك جيليكودي قد
يتمهل في سيره بينما كان القطار الآخر قد بدأ يضاعف من سرعته وبعد دق
او اثنتين كان القطار الأخير قد اختفى عن الأنظار .

وبحركة تلقائية رفعت مسز ماك جيليكودي يدها إلى حبـــل الاتـ

لكنها توقفت مترددة حائرة، فماذا يجدي قيامها بذلك؟ فوجدت نفسها عاجزة عن الحركة والتفكير أثر ما استبد بها من فزع ورعب ان ثمة ما يجب انتسرع بعمله لكنها لم تكن لتدري ماذا هي فاعلة .

فتح باب مقصورتها فوقف به المحصل يقول :

– تذاكر من فضلك .

فاستدارت اليه قائلة في حدة :

– لقد رأيت إمرأة تقتل خنقاً ، في هذا القطار الذى تجاوز قطارنا الآن .

فتأملها المحصل في شدة قائلا :

– معذرة يا سيدتي ؟

وأومأت الى النافذة وهي تقول :

– رأيت رجلا يزهق روح إمرأة خنقـــاً ! في القطار الذى كان يسير بمحاذاتنا لقد شاهدت هذا بعيني .

وبدا المحصل وقد استبدت به عوامل الشك ، ثم قال غير مصـدق لما يسمع :

– خنقاً ؟

– أجل خنقاً ! لقد رأيت ذلك كما قلت لك .. يجب ان نسرع بعمل شيء !

وعقب المحصل محرجاً :

– سيدتي لعلك غفوت قليلا و . و . .

– لقد غفوت فعلا، لكنك إذا كنت تعتقد ان ما رأيته حلماً فأنت مخطىء في اعتقادك هذا لقد رأيت الحادث بعيني .

واستقرت عينا المحصل على المجلة التي كانت بجوارها فوق المقعد ورأى صورة فتاة مقتولة بينما وقف رجل شاهراً غدارته .

فقال لها محاولاً إقناعها :

-- والآن يا سيدتي ألا تعتقدين انك كنت تقرأين قصة مثيرة ثم غفوت أثناء قراءتها فلما استيقظت ..

فقاطعته مسز ماك جيليكودى قائلة :

- قلت لك غير مرة اني شاهدت الحادث بعيني هاتين ، وكنت لا أقل عنك يقظة وإدراكا . شاهدت ذلك بينما كنت أتطلع من هذه النافذة عبر نافذة القطار الآخر ، وأبصرت برجلي يزهق روح إمرأة خنقاً . وكل ما أريد ان أعرفه الآن ، هو ماذا أنت فاعل إزاء ما اخبرتك به ؟

- حسناً يا سيدتي .

- أعتقد ان من واجبك ان تفعل شيئاً ؟

فزفر المحصل زفرة حارة وهو يلقي نظرة على ساعته .

- سنصل إلى محطة براكهامبتون بعد سبع دقائق وسأقوم بابلاغ ذوي الشأن بما سمعته منك في اى اتجاه كان يسير القطار الآخر !

- في عكس اتجاه قطارنا هذا ، بداهة ما أظنك تعتقد انه كان في وسعي ان أرى ما رأيت في قطار كان يسير في عكس اتجاهنا ؟

وبدا على المحصل انه يرى في مسز ماك جيليكودى أهلا لكل شيء ، فقد تسلطت الفكرة على ذهنها ، ولكنه آثر ان يلتزم بالصمت فقال لها في آخر الأمر .

- سيدتي يمكنك أن تثقي بي سأحيط ذوي الشأن علماً بكل ما سمعته منك . والان إلي باسمك وعنوانك فربما استدعى الأمر الاتصال بك .

وأسرعت تزوده بعنوان إقامتها المؤقت في الأيام القليلة التالية وبعنوان إقامتها الدائم في اسكتلندا ثم انسحب الرجل متخذاً مظهر من أدى واجبه ، فوفق في ارضاء هذه السيدة المعقدة .

فجلست مقطبة الجبين غير مقتنعة بما وعدها به المحصل ، فهل تراه سيرفع

الأمر الى ذوي الشأن ؟ أم تراه قد وعدها بذلك ليهدىء من روعها ! ان ثمة من النساء من يستسلمن لخيالهن ولعله قد التقى الكثيرات منهن ، فهل تراه قد اعتقد انها واحدة منهن ؟

وبدأ القطار يهدىء من سرعته لتوقفه عند المحطة التالية ، ففتحت حقيبة يدها وأخرجت منها قصاصة ورق دونت بها مذكرة وضعتها في مظروف تصادف وجوده بالحقيبة ثم أغلقت المظروف وسطرت عليه بضع كلمات .

وتهادى القطار في سيره بجوار رصيف المحطة وسمعت صوت المذياع يعلن :

– القطار الذى يتوقف الان أمام الرصيف رقم ١ هو قطار الساعة ٥,٣٨ الى ميلشيستر ووبفرتون وروكستر ، والمحطات الى تشاد ماوث. وعلى المسافرين الى ماركت باسبنج ان يستقلوا القطار الواقف بالرصيف رقم ٣ والرصيف الفرعي (لوقوف القطار المتجه الى كاربورى) .

فنهضت تطل من النافذة في لهفة الى أن وقع نظرها على أحد الحمالين ، فسألته قائلة :

– ارجو ان تحمل هذا الى ناظر المحطة فوراً .

ثم سلمته المظروف ونفحته شلنا وبعد ذلك اضطجعت في مقعدها ، وقد سرى عنها ، لقد قامت بكل ما تستطيع القيام به وشردت بذهنها الى المشهد الذي قدر لها ان تراه. انه لمشهد رهيب حقاً! وعلى الرغم مما تعرفه عن نفسها من قوة الأعصاب الا انها شعرت برعدة تسرى في بدنها .

يا لها من مصادفة ، ان يقدر لها ، هي اليزبيث ماك جيليكودى مشاهدة ما حدث ترى اذا لم يقدر لستارة النافذة ان ترتفع كاشفة عما يجرى خلفها .. ان القدر اراد ذلك لقد شاء القدر ان تشهد اليزبيث حصول هذه الجريمة وضمت شفتيها في حزم .

وبين ضجيج الأصوات ، وصفق الأبواب تحرك القطار الساعة ٥,٣٨ مغادراً محطة براكهامبتون ، وبعد ساعة وخمس دقائق وصل هذا القطار الى محطة

ميلشيستر ، ونهضت مسز ماك جيليكودي تجمع حاجاتها لتغادر القطار ووقفت تجيل النظر بحثاً عن أحد الحمالين ، وأخيراً وجدت ضالتها فسألها الحمال :

– سيارة أجرة ؟

– ثمة من سيكون في انتظاري كما أتوقع .

وفي خارج محطة ميلشيستر أقبل سائق أجرة عليها يسألها في لهجة محلية رقيقة :

– مسز ماك جيليكودي فيما أعتقد ! في زيارة لسانت مادي ميد ؟

وعرفته مسز ماك جيليكودي بنفسها وبعد أن نقدت الحمال أجره ، استقلت سيارة الأجرة التي كانت في انتظارها ، فجلست في السيارة متوترة الأعصاب ، تسرح الطرف فيما يكتنفها من ظلام دامس .

وأخيراً توقفت السيارة بها أمام منزل صديقتها ففتحت الباب لها خادم عجوز ، فخطت مسز ماك جيليكودي إلى البهو حيث وجدت مضيفتها واقفة في انتظارها أمام باب غرفة الجلوس ، وكانت سيدة رقيقة متقدمة في السن .

– الزابيث

– جين !

وكان عناق بين الصديقين ، وبدون مقدمات بادرت مسز ماك جيليكودي مضيفتها قائلة .

– أواه يا صديقتي .. لقد شاهدت لتوي حادث قتل ؟

الفصل الثاني

وإخلاصاً منها لما لقنتها إياه والدتها وجدتها – أن تكون فطنة متوقدة الذهن ، وان السيدة بحق لا يمكن أن تبدو مذعورة دهشة – حرصت مس ماربل على ألا تفعل شيئاً أكثر من رفع حاجبيها وتحريك رأسها قائلة :

– لكم أشفق عليك ، لقد تعرضت لأمر غير عادي ، أعتقد أنه من الخير لك أن تسرعي بسرد ما لديك .

وهذا ما كانت تصبو مسز ماك جيليكودي إلى أن تفعله ، فاتخذت لها مقعداً بجوار المدفأة ، في مواجهة مضيفتها ، فنزعت قفازها وراحت تسرد على مسامع مس ماربل قصتها المثيرة .

فأصغت اليها مضيفتها بكل حواسها . فلما أن فرغت مسز ماك جيليكودي من سرد ما لديها وتوقفت لتلتقط أنفاسها حتى انبرت مس ماربل تقول لها :

– خير ما تفعلينه الآن ، يا عزيزتي ، هو ان تصعدي إلى غرفتك للاغتسال واستبدال ثيابك ، ثم تهبطين لتناول طعام العشاء – الذي لن يتخلله الحديث عن هذا الموضوع من جميع زواياه .

فصادف هذا الرأي القبول من مسز ماك جيليكودي ، فجلست السيدتان إلى مائدة العشاء تتجاذبان أطراف الحديث عن نواحي الحياة المختلفة في قرية

سانت ماري ميد . فمرجت مس ماربل في حديثها على شتى مـــا يحكى في القرية الصغيرة عن بعض أعضاء مجتمعها . ثم دار الحديث بين السيدتين عن السيدتين عن الزهور وفن تنسيق الحدائق .

وعادت السيدتان إلى مقعديهما بجوار المدفـــأة ، وقبل أن تستقر مس ماربل في مقعدها اتجهت إلى صوان وعادت تحمل كأسين وزجاجة نبيـذ قائلة :

– إن القهوة لن تناسبك الليلة، وأرى انك بحاجة إلى ما يهدىء أعصابك

– لكي يتيسر لك نوم عميق ، اليك هذا الكأس من النبيـذ الجيد ، ثم سأعد لك قدحاً من الكاموميل قبل أن تأوي إلى الفراش .

فتناولت مسز ماك جيليكودي الكأس من صديقتها ، وبعد أن ارتشفت منها قليلاً بادرتها قائلة :

– جين ، عسى ألا يخيل اليك اني رأيت ما رأيت فيما يراه النائم ، أو انه كان محض خيال ؟

– كلا ، بكل تأكيد

وكان صوت مس ماربل وهي تقول هذا، يفيض حرارة وثقة ، مما ارتاحت له مسز ماك جيليكودي نفساً ، ثم قالت :

– لقد خيل إلى الحصل شيء من هذا القبيل ، حقيقة أنه كان جم الأدب في مناقشته لي ، غير انه . .

– أعتقد انه كان من الطبيعي ، في مثل هذه الظروف ، أن يتبادر إلى ذهنه هذا الخاطر ، إن القصة تبدو لأول وهلة من الأمور المستبعـدة . فلم يكن له بك سابق معرفة ، أما عني فلست أشك لحظة في صحـة روايتك . صحيح ، إن ما شاهدته يعد من القصص النادرة – ولكنه ليس بالمستحيـل وقوعه ، وأذكر اني كثيراً ما كنت أعمد إلى التطلع إلى القطار الذي يسير ، بمحاذاة القطار الذي أستقله لمتابعة مـا يضطرب في بعض عرباته من حيـاة ،

وكنت أجد فيها أراه مصدر تسلية ومفارقات سارة . واذكر ، ذات يوم ، اني رأيت فتاة صغيرة كانت تلهو بدمية دب بين يديها ، فإذا بها ترمي بهـــا رجلاً بديناً كان يغط في نومه ، فنهض الرجل مذعوراً يتلفت فيها حوله ، بينما راح المسافرون يتأملونه مبتسمين وظلت هذه الصورة منطبعة في ذهني لفترة طويلة ..

- وهذا هو عين ما كان من أمري .

- تقولين إن الرجل كان مولياً ظهره لك ، أفهم من ذلك انك لم تتمكني من رؤية وجهه .

- كلا ..

- فهل في استطاعتك ان تصفي المرأة ؟ في مقتبل العمر ؟ متقدمـــة في السن ؟

- أعتقد أن سنها بين الثلاثين وبين الخامسة والثلاثين .

- حسنة المظهر ؟

- هذا ما لا أستطيع الجزم به ، لقد كان وجهها محتقناً .

- أجل ، أجل ، هذا بديهي ، ماذا كانت ترتدي ؟

- كانت ترتدي معطفاً من الفراء ، من اللون الأصفر ، ولم تكن تضع قبعة فوق شعرها الأشقر .

- ألا تذكرين عن الرجل ما يميزه عن غيره ؟ علامة مميزة مثلاً ؟

وتريثت مسز ماك جيليكودى قليلاً قبل أن تجيب :

- كان طويل القامة - يميل إلى السمرة ، وكان يرتدى معطفاً ثقيلاً مما لا أستطيع معه أن أحدد بنيانه . في الواقع إن معلوماتي عنه قاصرة لا تشفي غليلاً .. اليس كذلك ؟

- شيء خير من لا شيء .. هل أنت واثقة .. من أن الفتاة قد - لفظت أنفاسها ؟

– نعم . اني جد واثقة من ذلك ، لقد رأيت لسانها يتدلى من – أرى أنه من الخير لي ألا أسترسل في وصف بشاعة ما رأيت ..

– هذا بديهي ، لا عليك من هذا . إننا سنعرف المزيد كما أتوقع ، في الصباح .

– نعم . في صحف الصباح ، إن هذا الرجل بعد قتله لهذه الفتاة ، سيجد بين يديه جثة لا يعلم ما هو فاعل بهـــا ؟ فمن البديهي أن يسرع بمغادرة القطار في اول محطة يتوقف بها وبالمناسبة ، هل تذكرين ما إذا كانت العربة من ذوات الدهليز أم لا ؟

– كلا ، لم تكن كذلك .

– مما يعني ان القطار لم يكن من قطارات المسافات البعيدة ، مما يستتبع توقفه بمحطة براكبيها مبتون . لنفرض أن رجلنا سيسرع بمغادرة القطـار في براكبيها مبتون ، تاركاً جسم الجريمة .. هذا ما أعتقد انه فاعله ، غير اننـا نفترض أيضاً ، ان الجثة سيكتشف أمرها وشيكاً ، ومن هنا كان افتراضي اننا سنطلع على أنباء الحادث في صحف الصباح ، إثر اكتشاف جثـــة المرأة القتيل في القطار ، إن غداً لناظره قريب .

غير ان صحف الصباح لم تنشر شيئاً عن الحادث .

فجلست كل من مس ماربل ومسز ماك جيليكودى إلى مائدة الأفطار وقد ران الصمت عليهما .. وكانت كل منهما شاردة الفكر ساهمة النظرات .

وبعد الفراغ من تناول طعام الفطور ، قامتا بجولة في الحديقة ، ولم تنعما بهوايتهما كما كان شأنهما من قبل ، لأن ذهنهما كان يضطرب بالتفكـــير في هذا الحادث .

وبعد حديث لا غناء فيه عن فن تنسيق الحدائق والعناية بزهورهـا .. أعقبته فترة صمت قصيرة ، استدارت مسز ماك جيليكودى إلى صديقتهـا قائلة :

- حسناً ؟

وعلى الرغم من أنها لم تضف إلى هذه الكلمة حرفاً ، إلا ان نبرات صوتها كانت تعني الكثير مما أدركته مس ماربل على الفور قائلة :

- أعرف ما يجول في خاطرك .

ووقفت كل منهما تحدق النظر في الأخرى ، ثم استطردت مس ماربل قائلة :

- أعتقد انه يحسن بنا أن نتوجه إلى مركز الشرطة لمكاشفة الرقيب كورنيش بالأمر . إنه متوقد الذكاء حسن التقدير ، ولي به معرفة سابقة ، وأعتقد أنه سيستمع إلى قصتنا - ثم يقوم من ناحيته بابلاغ الأمر إلى من يرى من المختصين

وبناء على ذلك ، كانت كل من مس ماربل ومسز مساك جيليكودي تتحدثان معه بعد ثلاثة أرباع الساعة إلى رجل رزين يتراوح سنه بين الثلاثين والأربعين ، يصغي اليهما في انتباه ويقظة .

وكان استقبال فرانك كورنيش لمس ماربل استقبال رد وحفاوة ، وبعد أن قدم السيدتين مقعدين قال :

ماذا يمكنني أن أقوم به من أجلكم . .

- أرجو أن تسمع لما ستقصه عليك صديقتي مسز مساك جيليكودي .

فاستمع الرقيب كورنيش في هدوء للقصة ، وبعد أن فرغت السيدة من سرد قصتها ، ظل صامتاً بعض الوقت ، ثم قال :

- إنها لقصة لها العجب .

وكان الرجل يصعد بعينيه إلى مسز ماك جيليكودي ، دون أن يشعرها بذلك ، بينما كان جالساً يصغي اليها ، فأخذ يتفحصها ، إنها إمرأة متزنة ، قادرة على استعادة سرد ما شاهدت بجلاء ، وهي أبعد ما تكون عن الانسياق وراء خيالها أو أوهامها .

ثم ان مس ماربل ، كما يبدو : تحمل قصة صديقتها محمل الجد وتؤمن بها ، وانه ليعرف جيداً ، من هي مس ماربل ، والجميع في سانت مــاري ميد يعرفون حقيقة ما هي عليه من ذكاء وفطنة ..

وأخيراً استطرد الرجل قائلاً :

– ربما تكونين قد أخطأت مهلاً ، لم أقل انك أخطأت ، قلت ربما تكونين قد أخطأت في تقديرك لما وقع عليه نظرك . لم لا يكون ما شاهدت بالغ الخطورة أو الجد كما خيل اليك ؟

– إني جد واثقة مما رأيت صورة وتقديراً .

– مهما يكن من أمر ، فقد قمت بما يجب من إبلاغ الأمر لرجـال السكك الحديدية ، كما قمت بابلاغي بما كان ، ومـا قمت به هو الاجراء السليم الذي كان من الواجب أن يتخذ ، وليس عليك الآن سوى أن تتركي الأمر بين يـدي .

ورأى مسز ماربل تومىء براسها راضية عما سمعته ..

أما مسز ماك جيليكودي فلم تكن راضية كل الرضا ، فرأت ألا تعقب بشيء .

وكان الرقيب كورنيش حريصاً على الاتجاه بحديثه إلى مسز ماربل ، ليسمع ما عساها أن تعقب به ..

فانبرى قائلاً :

– مع التسليم بكل ما استمعنا اليه من وقائع ، فمـاذا كان من أمر الجثـة ؟

وبدون أدنى تردد ، سارعت مس ماربل بقولها :

– إن ثمة احتمالين ، فيما يبدو .. أولهما ، وهو الأكثر احتمالاً ، أن يكون القاتل قد ترك الجثة في القطار ، وإن كنت استبعد ذلك الآن ، لأنه كان من المفروض أن يتم العثور على الجثة أثناء الليل بمعرفة أحد المسافرين أو أحد رجال

السكك الحديدية بعد وصول القطار إلى محطة النهاية .

وأومأ فرانك كورنيش برأسه مبدياً موافقته على هذا الرأي. واستطردت مس ماربل قائلة :

- والاحتمال الثاني ، الذي لم يكن أمام القاتل غيره ، هو أن يلقي بالجثة من القطار أثناء سيره ، وليس من شك في انها لا زالت حيث القي بها ، مـــا دام أمرها لم يكتشف بعد - وإن كنت استبعد ذلك أيضاً استبعد عدم اكتشاف أمر الجثة إلى الآن . ومها يكن من أمر ، فلست أرى سوى هذين الاحتمالين أسلوباً لمعالجة المشكلة .

وانبرت مسز ماك جيليكودي قائلة :

- إننا نقرأ عن الجثث التي تودع الصناديق . ! غير انه ما من أحد يسافر حاملاً صندوقاً في أيامنا هذه .. إن الناس لا تحمل معها سوى حقائب الملابس التي لا يمكن أن تتسع للجثث .

قال كورنيش :

- أجل .. انني متفق معكما في الرأي .. إن الجثة ، إذا ما كانت هناك جثة .. كان من المتعين اكتشاف أمرها ، إن عاجلاً أو آجلاً .. سأحيطكما علماً بكل ما يستجد من تطورات . وإن كنت أفترض اطلاعكما على مـــا ينشر من ذلك في الصحف . وثمة احتمال آخر - ألا وهو ان المرأة قد تكون ما زالت على قيد الحياة ، بمعنى انها بعد أن أفاقت كانت قـادرة على مغادرة القطار بمفردها .

فعقبت مس ماربل قائلة :

- بدون معاونة أحد ؟ قد يكون هذا بعيد الاحتمال ، وإن حـدث شيء من هذا القبيل . على أي من الوجهين فلا بد وأن يسترعي انتباه احد .

وأردف كورنيس موافقاً :

- أجل ، لا بد أن يلفت الأنظار ، انه إذا ما وجدت إمرأة فاقدة الوعي

في عربة من قطار ونقلت إلى أحد المستشفيات ، فإننا نعلم بذلك من السجلات الرسمية .. أعتقد أننا سنسمع قريباً عن هذا الأمر ، بوسيلة أو بأخرى .

وانقضى اليوم وما تلاه من يوم آخر . وفي مساء اليوم التالي تلقت مسز ماربل مذكرة من الرقيب كورنيش :

« بناء على ما تحدثت به إلي . قمت بالتحريات اللازمة ، غير اني لم أتوصل إلى نتيجة ما . ولم يتم ، إلى هذه الساعة ، اكتشاف جثة لامرأة مـــا . ولم تودع إحدى النساء مستشفى ما ، ولم يبلغ أحد عما يمت لهذا الحادث بصلة ، وأرجوا أن تثقي بأننا بذلنا أقصى جهد في تقصي حقيقة هذا الأمر . وفي رأيي ان صديقتك قد شاهدت ما عرضته علينا ، غير إن هذا المشهد ربما كان أقل جدية مما قدرته

الفصل الثالث

قالت مسز جيليكودي ، وهي تحدج بنظراتها إلى مسز ماربل :

– أقل جدية ؟ هراء وهذر ! هيا افصحي عمـــا يدور بخلدك ، قولي اني تخيلت الأمر كله .. أليس هذا هو ما تبادر إلى ذهنك الآن ؟

– ما من أحد إلا ويخطىء ، إننا جميعاً معرضون لهذا وهذا ما يجب أن نضعه نصب أعيننا . غير اني ما زلت اعتقد انك لم تسردي على مسامعنا إلا حقاً ، لقد بلغ تأثرك بما شاهدت إلى حد اني لمست ذلك منك حينما استقبلتك مرحبة ..

– إن ما شاهدته من الأحداث لا تنسى . إن ما أضيق به الآن ، هو اني لست ادري ماذا يمكنني ان أفعل إزاء ما شاهدت ..

– اعتقد انك قمت بكل ما يجب أن يتخذ من إجراء في مثل هـــذه الأحوال ، لقد قمت بابلاغ ذوي الشأن بما شاهدت - ابلغت رجال السكك الحديدية ورجال الشرطة ، ما أظن أن ثمة ما كان يمكن أن تقومي به اكثر مما قمت به .

وإذا ما كان قد قدر لمسز ماك جيليكودي أن تتابع نـــبرات صوت صديقتها ، لكانت قد لمست من ذلك ما عمدت اليه من ضغط مؤكد عند نطقها بكلمة « انك » .

وكان تعقيب مسز جيليكودي على رأي صديقتها :

— لقد ازحت عبئاً ثقيلاً عن صدري ، لأني كما تعرفين ، راحلة إلى سيلان بعد عيد الميلاد مباشرة للإقامة لفترة ما مع روديريك ، ولست اريد ان اؤجل هذه الزيارة ، التي كنت اتوق اليها كثيراً ، واخشى ان تضطرني الظروف إلى تأجيلها .

— هذا ، إذا ما اقتضى واجبك منك ذلك ، واعود لمصارحتك بأنك قمت بكل ما يجب عليك إزاء ما شاهدت .

— إن مرجع الأمر اخيراً للشرطة ، هذا ما لم ..

— كلا ، كلا . لا تخشي شيئاً .. إن رجال الشرطة يتحرون الدقة في قيامهم بواجبهم . إن كل ما نريد ان نعرفه الآن . هو حقيقة ما حدث فعلاً ؟

— إن ما حدث لم يكن سوى جريمة قتل دون ريب ..

— اجل . ولكن ، من عساه ان يكون القاتل ، ولماذا ؟ وماذا كان من امر الجثة ؟ واين يا ترى توجد هذه الجثة الآن ؟ ان الحادث يكتنفه الغموض .

— على رجال الشرطة ان يقوموا بتقصي الحقيقة .. فهذا هو واجبهم .

— تماماً .. ولقد قاموا بذلك ، ولكنهم لم يوفقوا إلى الآن . وهذا يعني ان القاتل كان في متناهى البراعة في تخلصه من الجثة .

إن ملابسات هذا الحادث تدل على أنها كانت جريمة عفوية غير مسبوقة بالاصرار عليها .

فلا يمكن للقاتل الذي اعد العدة لارتكاب جرمه ، ان يقوم بذلك في قطار على وشك الوصول إلى إحدى المحطات الكبرى .

كلا ، لقد بدأ الأمر شجاراً — اثارته عوامل الغيرة او شيء من هذا

القبيل . فكان ان ازهق الرجل روحها خنقاً في ثورته ، ثم افاق ليجد نفسه امام جثة يجب ان يتخلص منها ، او انه يدع الجثة حيث هي .. اضيق الوقت ويسرع بمغادرة القطار في اول محطة ، وهذا ما لم يحدث كما تبين لنا .

واستغرقت مسز ماربل في تفكير عميق ، ولم تنتبه إلى ما كانت تحدثها به مسز جيليكودى ..

التي سألتها :

- جين ، ترى هل اصبت بالصمم ؟

- ربما . لقد سمعتك تتحدثين ، ولكنني لم اتبين شيئاً مما كنت تتحدثين به ، لأني كنت مستغرقة في التفكير .

- كنت استفسر منك عن مواعيد القطارات المسافرة إلى لندن غداً اني ذاهبة لزيارة مارجريت التي تنتظرني لتناول الشاي معها . اعتقد ان قطار بعد الظهر سيكون مناسباً ؟

- يمكنك ان تسافرى بقطار الساعة١٥ : ١٢ ؟ وسآمر باعداد طعام الغداء في ساعة مبكرة .

- فليكن .

- واني لأتساءل عما إذا كانت مارجريت لا يضيرها ان تؤجل ساعة تناول الشاي الى الساعة السابعة بدلاً من الخامسة ؟

فتأملت مسز جيليكودى صديقتها في فضول .

ثم سألت :

- جين ، ماذا يجول في ذهنك ؟

- ارى ان اصحبك في السفر الى لندن ، ثم نسافر الى براكهامبتون بعد ان نستقل القطار الذي سافرت به في ذلك اليوم . ثم تعودين ادراجك الى لندن ، واعود بدوري الى هنا ..

وسأقوم بدفع جميع النفقات ..

- جين ، بحق السماء ماذا تتوقعين من اقتراحك هذا ؟ هل تتوقعين ان تشهدي جريمة قتل اخرى ؟

- كلا ، بكل تأكيد ، غير اني اريد ان ارى بنفسي . وبارشادك موقع الجريمة .

وهكذا ، كانت كل من مس ماربل ومسز جيليكودى تستقلان في اليوم التالي قطار الساعة ٥٤ . ٤ من بادنجتون ..

والقادم من لندن ..

وكانت محطة بادنجتون اشد ازدحاماً مما كانت عليه في يوم الجمعة السابقة لانه لم يبق على حلول عيد الميلاد سوى يومين .

وجلست مسز جيليكودى تتابع سير القطارات على الخطوط الاخرى ، وتلقي نظرة على ساعتها بين لحظة واخرى .

وكانت جميع القطارات تسير مسرعة في الاتجاه المضاد في طريقها الى لندن .

اما القطارات المسافرة في نفس الاتجاه ، فلم تر منها سوى قطارين مندفعين في سرعة لم تتح لقطارهما السير في محاذاتها .. واخيراً انبرت مسز جيليكودى قائلة :

- من العسير ان احدد متى ..

- سنصل الى بركهامبتون بعد خمس دقائق .

ووقف المحصل بباب مقصورتهما ، ورفعت اليه مس ماربل عينيها مستفسرة ..

وامأت مسز جيليكودى برأسها نفياً . فلم يكن صاحبنا بمحصل اليوم الاسبق .

وبعد اطلاعه على تذكرتيهما ، مضى في سبيله . وكان القطار قد ابطأ في

سيره لاجتيازه أحد المنحنيات الطويلة .

وقالت مسز ماك جيليكودي :

— أظن أننا في طريقنا إلى براكهامبتون .

— إننا على مشارف ضواحيها فيما أظن .

وبدت الأضواء والمباني والطرقات باقتراب القطار . الذي كان يهدىء من سرعته رويداً رويداً .

وانبرت مسز ماك جيليكودي قائلة .

— سنصل محطة براكهامبتون بعد دقيقة إن هذه الرحلة لم تكن مجدية أم هل ترين غير هذا الرأي ؟

— كلا ، لا أخالفك في ذلك

— لقد كانت مضيعة للوقت والمال

— لا عليك من هذا إني أحب دائماً أن أعاين محل الحادث . إن هذا القطار قد وصل متأخراً بضع دقائق ، هل وصل قطار يوم الجمعة في موعده ؟

— أعتقد هذا ، وإن كنت لم أتحقق من ذلك .

وتوقف القطار أخيراً بمحطة براكهامبتون ، وارتفع صوت المذياع يرشد المسافرين ، واختلط الصوت بأصوات الأبواب تفتح توصد ، وبوقع خطوات المسافرين فوق الرصيف الذي كان مزدحماً بهم .

وتبادر إلى ذهن مس ماربل ، إنه من اليسير على القاتل ان يتوارى بين صفوف هذا الحشد ، وان يغادر المحطة دون ان يشعر به أحد إلى حيثما شاء غير انه ليس من اليسير ان تختفي جثة بمثل ما اختفى به رجل على قيد الحياة .

إن هذه الجثة يجب ان تكون في مكان ما .

وذهبت مسز ماك جيليكودي إلى رصيف المحطة ، حيث وجهت حديثها

إلى صديقتها عبر النافذة المفتوحة :

- جين ، إحذري ان تصابي بنزلة برد ، للسن أحكامه ، ولنترك هـذا الموضوع ، ولا ندعه يقض مضجعنا ، بعد ان بذلنا في سبيله أقصى ما نستطيع .

– اليزبيث لا تقفي هكذا فتعرضي نفسك للإصابة بما تنصحينني بتجنبه هيا إلى البوفيه ، حيث تتناولين قدحاً من الشاي ، فما زال لديك متسع من الوقت حوالي ١٢ دقيقة - قبل قدوم قطارك الذي يعود بك إلى المدينـة .

– وهذا ما سأفعله . إلى اللقاء .

– إلى اللقاء ، وعيد ميلاد سعيد ، أرجو ان تجدي مارجريت في أحسن حال ، كما أرجو لك مقاماً طيباً في سيلان .. ولا تنسي أن تحملي تحياتي إلى رودريك – وإن كنت أشـك في انه ما زال يذكر شيئاً عني .

– وهل ثمة شك في انه يحمل لك أجمل الذكريات ؟ وهل ينسى معاونتك حينما كان يتلقى علومه بالمدرسة ؟

– إني لم أفعل شيئاً يستحق كل هذا ؟

وخطت مسز ماك جيليكودي بعيـداً عن القطار الذي بدأ يتحرك . وراحت مس ماربل تتأمل ظهر صديقتها التي كانت تخطو في ثبات ، بعد أن أزاحت عن عاتقها ، ما خلفه هذا الحادث في نفسها ، من هم وشعور بالمسؤولية .

ولم تسترح مس ماربل في مقعدها ، بل جلست تفكر ملياً ، وتستعرض الأمر بذهن متوقد منظم .

لقد قالت صديقتها أنهما قد قامتـــا بما يجب عليهما ، وبكل ما في وسعهما . وإن صح هذا بالنسبة لمسز ماك جيليكودي فإنه لا يصح بالنسبة

لمس ماربل .

إن لديها مشكلة مشكلة ماذا يتعين عليها أن تفعله إزاء هذه الجريمة الغامضة ؟ إن واجبها لا يقف عند الحد الذي يتوقف عنده واجب غيرها . فعليها أن تستغل مواهبها وما حباها الله به فيما ينفع أم ترى ان للسن أحكامه كما قالت صديقتها ؟ وراحت تقلب الأمر على كل وجه ، إلى ان انتهى بها تفكيرها إلى ما يلي :

١ تجاربي الكثيرة في الحياة وخبرتي بطبيعة البشر .

٢ – سير هنري كليثرنج وابن شقيقته (الذى يعمل الآن باسكتلنديارد فيما أعتقد) ومعارضته الصادقة في قضية ليتل بادوكس .

٣ ابن شقيقي رايمونـد ، دافيد ، الذي يعمل الآن بالسكك الحديدية

٤ ابن جريزالد ، ليونارد ، الخبير بالخرائط .

ورجحت لديها كفة الاضطلاع بمسؤولية العمل على إماطة اللثام عن سر هذه الجريمة والكشف عن معمياتها . إن فيما استعرضته من إمكانيات ما يعفيها من كثرة الحركة التي لم تكن لتتفق مع تقدمها في السن ، وهو وجه الاعتراض الوحيد في الكفة الأخرى ولن يجد طبيبها الخاص منفذاً للحيلولة بينها وبين ما تبغي ، لأنها ستتخذ سبيلاً لن يؤذى صحتها .

إنها خير من يدرك كم هي بحاجة إلى الراحة والدعة وإنها لتشعر الآن إنها في أمس الحاجة إلى العودة إلى منزلها والاسترخاء في مقعدها الوثير أمام المدفأة . إن كل ما تستطيع ان تفعلها في سنها هذه ، ان تفكر ملياً وتوجه من تشاء إلى ما يهديها اليه تفكيرها .

وراحت تطل من النافذة ، وتتأمل شاردة الذهن ما أمامها من جمال الطبيعة . وفجأة قفزت إلى ذهنها صورة المنحنى بعد ان قام المحصل بالاطلاع على تذاكر السفر .

المنحنى .. إنه يوحي اليها بفكرة ما ، مجرد فكرة .

وشعرت مس ماربل بأن كل ما كانت تشعر به من ارهاق قد زال عنها وإن النشاط قد عاد يدب في أوصالها .

وحدثت نفسها قائلة :

« سأحرر رسالة إلى دافيد صباح باكر » .

ثم تبادر إلى ذهنها ما جعلها تردد :

« وبديهي أن أتصل بفلورنس الوفية ! »

* * *

أعدت مس ماربل خطتها باحكام ، وحسبت لأعياد الميلاد حسابها كعامل مرجيء للتنفيذ .

وكتبت لابن شقيقتها ، دافيد وست ، تقرن تحيتها له بعيد الميلاد ، بما تردد من معلومات عاجلة .

وشاءت محاسن الصدف أن تدعى إلى عشاء عيد الميلاد في الأبرشية ، كالسنوات السابقة حيث تيسر لها الاتصال بليورناد الشاب ، ومبادلته حديثاً طويلاً عن الخرائط التي كانت هوايته الوحيدة .

ولم يثر فضوله السبب الذي حدا بهذه السيدة المتقدمة في السن إلى الاهتمام بالاستفسار منه عن مواقع منطقة معينة بالذات حسبما هو موضح بالخرائط المحلية ..

لقد كان منطلقاً في حديث مستفيض عن الخرائط بصفة عامة ، وكان يدون لها ما تشاء من أبعاد ومواقع .

وشاءت محاسن الصدف أيضاً ، أن توجد خريطة الموقع بين

بمجموعته ..

وقد رأى انه من الأفضل أن يعيرها إياها ، ووعدته مس ماربل أن تحافظ عليها وأن تعيدها اليه شاكرة .

* * *

وقالت الأم جيريزلدا ، التي كانت تبدو أصغر سناً من أن يكون لها ولد في سن ليونارد .

– خرائط ؟ ترى ماذا تبغي منها ؟ أعني لماذا تهتم بها ؟

– لست أدري ، إنها لم تفصح عن شيء يبين عما تبغيه .

– إني لأتساءل الآن .. يبدو أن في الأمر شيئاً ، كان ينبغي لها ، في مثل سنها أن تقلع عن هوايتها التي عرفت بها .

واستفسر ليونارد من والدته . عما عساها أن تكون هذه الهواية التي عرفت بها .

فأجابته جريزالدا :

– هواية الفضول وحب الاستطلاع ، والتدخل فيما لا يعنيهـــا ، واني لأتساءل ، لماذا الخرائط بالذات ؟

وتلقت مس ماربل رسالة من ابن شقيقها ، وافيدوست ، في الوقت المناسب ..

وفيما يلي نصها الودي :

« عزيزتي العمة جين ..

ترى ماذا ترمين اليه أخيراً؟

لقد حصلت على ما تريدين من معلومات ، ثمة قطاران فقط يتفقان

والزمن الذي حدده - قطار الساعة ٣٣ : ٤ وقطار الساعة ٥ .

والقطار الأول من قطارات الركاب التي تتوقف بمحطــات هولنج برودواي : وباروبل هيث ، وبراكهامبتون .. ثم المحطات إلى ماركيت باسنج .

أما قطار الخامسة ، فهو القطار السريع إلى كارديف ، ونيوبورت ، وسوانسي ، وقد يلحق قطار الساعة ٥٤ : ٤ بالقطار الأول في الطريق ، وإن كان من المفروض أن يصل إلى براكها مبتون قبله بخمس دقــائق . وأن يتجاوز القطار الآخر السريع ، قطار الساعة ٥٤ ٤ قبيل محطـة براكهامبتون .

واشتم ، من كل هذا رائحة تزكم الأنوف ، اليس كذلك ؟

ترى .. هل قدر لك ، أثناء عودتك في يوم ما بقطار الساعة ٥٤ : ٤ أن تشاهدي زوجة العمدة بين أحضان مفتش الصحة ؟ ولكن ماذا يعنيك من تحديد القطار ؟

وبما كانا يقضيان عطلة الأسبوع في بورتكول ؟ شكراً على الصدرية ، لقد كنت بحاجة إلى هذه الهدية .

وحديقتك ؟ كيف حالها ؟ ما أظنها يانعة في مثل هذا الفصل من السنة .

الخاص

دافيد ،

وبعد أن انفرجت شفتا مس ماربل عن ابتسامة رقيقة راحت تمعن النظر فيما بين يديها من معلومات .

لقد قالت مسز مــاك جيليكودي ، أن العربة لم تكن من ذوات الدهليز .

ويترتب على ذلك -- استبعاد قطار وانسي السريع ، والتركيز على

قطار الساعة ٢٣ ٤ .

وأن تعود مس ماربل لتجربة السفر ثانية لتقصي الحقائق ، من الأمور الشاقة .

ومع ذلك فإنها ترى انه لزام عليهـــا أن تعيد التجربة على أساس مـــا تجمع لديها من معلومـــات جـــديدة ، وأعدت خطتها ، وحزمت أمرها .

واستقلت قطار الساعة ١٥ ١٢ إلى لندن كما فعلت من قبل ، ولكنها لم تعد هذه المرة بقطار الساعة ٥٤ ٤ .

بل رجعت بقطار الساعة ٣٣ : ٤ كانت تسبق ساعة العودة المسائية ، ولم يكن بعربات الدرجة الأولى سوى راكب واحد – سيد متقدم في السن يتصفح صحيفة نيوستيتسمان .

وكانت مس ماربل تجلس بمفردها في مقصورتها ، وتطل من نافذتها عنـــد توقف القطار بمحطتي هولنج برودواي وباروبل هيث ، لتتأمل المسافرين في رواحهم وغدوهم .

وكانوا جميعاً من ركاب الدرجة الثالثة ..

ولم يصعد إلى عربات الدرجة الأولى احد ، وهبط منها السيد الشيخ في محطة باروبل هيث ، متأبطاً صحيفته .

وما ان صار القطار على مقربة من براكهامبتون مجتازاً المنحنى الذي في الطريق اليها حتى نهضت مس ماربل من مقعدها ووقفت مولية ظهرها إلى النافذة التي اسدلت سترها ، في تجربة لما عساه أن يحدث .

حقاً ، إن المنحنى مع التهدئة من سرعة القطار قد يفقد الانسان توازنـــه ويلقي به في اتجاه النافذة المولى ظهره اليها ، وقد يستتبع ذلك ارتفـــاع سترها ..

وحدقت النظر في ظلام الليل .. ورأت أن تقوم برحلة في وضح

النهار ..

وفي اليوم التالي ، استقلت قطار الصباح المبكر ، وعادت بالقطار الذي يغادر بادنجتون في الساعة ١٥ : ١٢

ووجدت انها تنفرد بمقصورتها في عربة الدرجة الأولى كالمرة السابقة . ودار بخلد مس ماربل :

« هـذه الضرائب ؛ ذاك هو السبب ، لا قبل لكل من شاء بالسفر في الدرجة الأولى ، وذلك باستثناء رجال الأعمال ، وما اظن باستطاعتهم هذا ، إلا لأنهم يضيفون ثمن التذكرة لبند المصروفات .

وقبل ان يصل القطار إلى براكهامبتون بحوالي الربع ساعـة ، اخرجت مس ماربل الخريطة التي زودها بها ليونارد ، وراحت تمعن النظر فيها وتدرس مواقعها .

إلى ان تعرفت على الموقع الذي يجتازه القطار في تلك اللحظة ، حـين كان القطار يهدىء من سرعته مراعاة لمنحنى الذي يستلزم ذلك .

ووقفت مس ماربل تمعن النظر من خلال النافذة وتدرس البقعـة التي يطويها القطار ، إلى أن توقف اخيراً بمحطة براكهامبتون .

وفي تلك الليلة ، قامت جين بتحرير رسالة إلى مس فلورنس هيل ، المقيمة برقم ٤ طريق ماديسون ، براكهامبتون .

وتوجهت في صباح اليوم التالي إلى مكتبة البلدية وقامت بالاطلاع على دليل مدينة براكهامبتون .

ولم تجد ما يتعارض مع مـا استقر في ذهنها من وجهة نظر مبـدئية .. إن ما جال في خاطرها كان من الممكن وقوعه ، وحسبها الآن مـا توصلت اليه .

غير ان الخطوة التالية تتطلب العمل العمل الدائب - هذا العمل الذي لا قبل لها به جسمانياً ، إنها بحاجة ماسة للاستعانة بغيرها .

وواجهتها مشكلة من عساه يكون هذا الشخص ؟

وراحت تستعرض مختلف الأسماء والامكانيات إلى ان استبعدتها جميعاً . إن من تثق بذكائهم ويمكنها ان تعتمد عليهم ليس لديهم متسع من الوقت للتفرغ لهذه القضية .

ووجدت مس ماربل نفسها تدور في دائرة من الحيرة والارتباك تبدأ من حيث تنتهي .

وفجأة ، تبادر إلى ذهنها خاطر اضاء ما يكتنفه من ظلمات ، فرددت في صوت مرتفع وقد تهللت بشراً :

— إنها لوسي ايلزبارو ، خير من يصلح لذلك ؟

الفصل الرابع

كان اسم لوسي ايلزبارو ، قـــد فرض نفسه على دوائر معينة بالذات ..

وكانت لوسي ايلزبارو في الثانية والثلاثين من عمرها .

وكانت قد حصلت على درجة الشرف الاولى في علم الحساب بجامعة اكسفورد ، وعرفت بتوقد ذهنها ، وكان الناس يتوقعون لها مستقبلاً اكاديمياً براقـــاً ..

غير ان لوسي ايلزبارو علاوة على تفوقهـــا العلمي ، كانت شديدة اللماحية ، عميقة الوعي متزنة التفكير .

وكانت تدرك ان الحياة الاكاديمية الممتازة لا غنـاء فيهـا بمعزل عن غيرها من نواح اخرى ..

ولم تكن بها رغبة في العمل بالتدريس .

وكان يروق لها ان تتصل بمن هم أقل منها ذكاء وفطنة .

وإيجازاً للقول ..

فقد عرفت بحبها للناس ، لكل طراز منهم – مع حبها للتغيير من حين لآخر .

وكانت في الوقت نفسه ، وبكل صراحة ، تحب المال لذاته ، وترى

أن على المرء في سبيل الفوز به ، ان يستغل مواطن العجز في المجتمع – مواطن الحاجة إلى اليد العاملة .

وكان ان انخرطت لوسي ايلزبارو – وسط فرط دهشة اصدقائها وزميلاتها – في سلك الخدمة المنزلية . ووفقت في عملها هذا أيما توفيق . وأصبحت ، بمضي الأعوام ، معروفة في جميع أنحاء الجزر البريطانية .

وأصبح مألوفاً لدى الأزواج ان يسمعوا من زوجاتهم :

« سيكون كل شيء على ما يرام ، ويمكن ان أصحبك إلى الولايات المتحدة بفضل لوسي ايلزبارو ! »

وعرف عن لوسي ايلزبارو انها بمجرد ان تحل بمنزل ما ، تذهب عن هذا المنزل متاعبه ومصادر القلق به ، فقد كانت تقوم بكل شيء وتعنى بكل شيء ، وتدبر أمر كل شيء .

وكانت كفؤاً لكل مشكلة قادرة على مواجهتها ، وكانت تعنى بالكبار وبالصغار على حد سواء وتقوم على خدمة المرضى منهم ، كيسة تروض المنحرفين وتواسي المحزونين .

ولم تكن لتجد غضاضة ، في أى عمل يوكل اليها ، مهما قل شأنه !

وكانت تلتزم بقاعدة عدم الارتباط بعمل طويل المدى .

فقد كانت لا ترتبط لأكثر من أسبوعين في الظروف العادية ، وشهر على الأقل في الظروف الاستثنائية .

وكان على من يريد استخدامها ألا يضن عليها بما تحدده من أجر !

غير ان من يوفق إلى ذلك ، يجد انه بذل القليل في مقابل خدماتها الملموسة .

فيمكنه ان يسافر الى الخارج ، وان يلقى عن كاهله بكل مسؤولياته المنزلية ، وألا يشغل نفسه بشيء .

وكان من البديهي ان يتضاعف الطلب لخدماتها ، مما من شأنه ان يغطي فترة ثلاثة أعوام مقدماً

وكانت تحرص على إتاحة الفرصة لنفسها ، لقضاء فترات من الراحة والاستجمام .

وكانت ترفض من الخدمات ما لا يصادف هوى في نفسها ، مهما يكن من أمر الأجر المعروض عليها ، وكانت راضية عن حياتها ، ناعمة بكل ما فيها .

وقرأت لوسي ايلزبارو رسالة مس ماربل أكثر من مرة . وكانت قد تعرفت بمس ماربل منذ سنتين ، حينما استدعاها الكاتب القصصي ، رايموند وست ، للقيام على خدمة عمته ، التي كانت في طريق الشفاء ، من التهاب رئوي .

وقبلت لوسي هذا العمل وسافرت الى سانت ماري ميد ، واحتلت مس ماربل من نفسها مكاناً ممتازاً .

أما عن مس ماربل ، فما ان وقع نظرها على لوسي ايلزبارو ، وأقبلت على تناول ما تقدمه اليها من طعام ، مما كان له حتى صادفت قبولاً من نفسها ، وشعرت بالارتياح اليها ، أكبر الأثر في قضاء فترة نقاهتها في مدى أقل مما قدره لها الطبيب المعالج .

وكانت رسالة مس ماربل الى مس ايلزبارو ، تتضمن الاستفسار منها عما إذا كانت توافق على الاضطلاع بعمل معين - عمل له طابعه الخاص . وسألتها أن تحدد كيفية الاجتماع بها للتباحث في هذا الشأن .

وقطبت لوسي ايلزبارو جبينها ، بينما كانت تفكر ملياً فيما عرض عليها . إن جدولها الزمني مستكمل التوقيت .

غير ان كلمة « له طابعه الخاص » وما تعرفه عن مس ماربل وعن شخصيتها حدا بها إلى الاتصال تليفونياً بمس ماربل والاعتذار لها عن عدم استطاعتها

الذهاب الى سانت ماري ميد لارتباطها بعملها ، مع ايضاح انها على استعداد للاجتماع بها فيما بين الساعة الثانية والرابعة من بعد ظهر اليوم التالي في أي مكان بلندن .

واقترحت ان يكون اللقاء في ناديها الخاص ، إذا ما وافقت مس ماربل ، حيث يمكنهما ان تجتمعا في هدوء .

وصادف الاقتراح من نفس مس ماربل قبولاً ، وتم اللقاء بين السيدتين في اليوم التالي .

وبعد تبادل التحيات ، أخذت لوسي ايلزبارو ضيفتها الى غرفة هادئة وهي تقول :

– ان وقتي لا يتسع في الوقت الحاضر للارتباط بعمل جديد . غير انه لا ضير من ان أحاط علماً بما تريدين ان تعهدي به الي ؟

– إن الأمر في غاية السهولة ، إنه عمل غير عادي ، ولكنه غير معقد ، أريد ان أعهد اليك بالبحث عن جثة

وتبادر الى ذهن لوسي ان مس ماربل تعاني اختلالاً في قواها العقلية ، لكنها بسرعة أبعدت هذا الخاطر من ذهنها

ان مس ماربل في كامل قواها العقلية . وهي تعني ما قالته ، مبنى ومعنى .

وأخيراً ، وجهت اليها لوسي هذا السؤال :

– جثة من ؟

– جثة امرأة ، مخنوقة في قطار .

وارتسمت على وجه لوسي بوادر الدهشة قائلة :

– فعلا .. انه لأمر غير عادي ، حدثيني بكل الذى تعرفينه عنه .

وحدثتها مس ماربل بالقصة تفصيلا . وجلست لوسي ايلزبارو تصغي

اليها في انتباه دون مقاطعة .

وما أن فرغت مس ماربل من سرد ما لديها ، حتى بادرتها لوسي ايلزبارو بقولها :

— إن الأمر كله يتوقف على ما شاهدته صديقتك — أو خيل اليها انها شاهدته ؟

ولم تتم ما كانت بسبيل قوله ، فانبرت مس ماربل تقول لها ، بعد أن ادركت ما تعنيه لوسي :

— إن الزبيث ماك جيليكودي ليس من عادتها تخيل الأشياء ، وهذا هو السبب في انني واثقة مما سمعته منهـا ، لو كانت دورثي كارترايت هي الراوية ، لكان الوضع مختلفاً .. إن دورثي تتقن حبك القصة إلى حد تصديقها لها في نهاية الأمر .. أما الزبيث فهي من هذا الطراز الواقعي من النساء الذي لا ينطبق بغير الحق ، إنها أشبه بالصخر الصلد .

— فهمت . فلنسلم بصحة القصة وسلامة مبناها .. ترى مـا هو دوري فيها ؟

— لقد حظيت بتقديري ، ولعلك ترين ان حالتي الصحية لم تعد في هذه الأيام كما كانت عليه فيما سبق من قوة وجلد

— هل تريدين مني أن أقوم ببعض التحريات ؟ ألم يقم رجـال الشرطة بذلك ؟ أم ترين أنهم لم يبذلوا ما يجب من جهد ؟

— كلا ، إنهم لم يقصروا في شيء ، كل ما في الأمر أن لي وجهـة نظر بالنسبة لجسم الجريمة ، إن جثة هذه المرأة لا بد أن تكون في مكان مـا ، وحيث انه لم يعثر على هذه الجثة بالقطار — فيستتبع هـذا أنه قد القي بهـا منه — غير انـه لم يعثر عليها في أي مكان بجوار الخطوط الحديدية . ولذلك رأيت أن أستقل القطار لأتبين ما إذا كان ثمة مكان يمكن القاء الجثة به .

ومع ذلك لا يتم العثور عليها ، بجوار الخط الحديدي - ولقد وجدت هذا المكان .

إن الخط الحديدي يجتاز منحنى كبيراً قبل بلوغه براكهامبتون ، فوق جسر مرتفع .

فإذا ما ألقي بجثة ما عند هذا الموقع حينما ينحرف القطار تبعاً للمنحنى ، ففي رأيي ان هذه الجثة تندفع هابطة مع قائم الجسر .

- ومع ذلك ، فإن هذا لا يفسر عدم اكتشاف أمرها ؟

- هذا إذا ما تركت حيث هي . وسوف نعرض لهذا بالحديث حالاً ، اليك الموقع - مبيناً على هذه الخريطة .

وتأملت لوسي ايمسان الخريطة التي كانت بين يدي مس مـــاربل التي استطردت تقول :

- يقع هذا المكان على مشارف براكهامبتون ، في الوقت الحاضر ، ولقد كان من قبل بيتاً ريفياً تحوطه حديقة شاسعة وأراض فضاء ، ولم يزل هـــذا البيت مكانه لم ينله تغيير - وإن أحاطت به بعض البيوت والمبـــاني الريفية .

ويطلق على هذا البيت اسم رودفورد هول وقد شيده رجـــل يدعى كراكنثورب ، وكان من أثرياء رجال الصناعة ، في عام ١٨٨٤ .

وما زال كراكنثورب الابن الذي أصبح شيخاً متقدماً في السن ، ما زال يقيم مع إبنته في هذا البيت ، وجدير بالذكر ان الخط الحديدي يطوق نصف الضيعة

- وماذا تريدين مني ان أقوم به !

- أريد أن تلتحقي بالعمل هناك ، وما أظنك ستجدين صعوبـــة في الحصول عليه .

- اعتقد هذا .

– يقولون عن مستر كراكنثوب انه رجــل بخيل ، فإذا ما قبلت العمل بأجر زهيد ، فثقي اني سأستكمله إلى الحـد الذي يرضيك بل واكثر مما تقدرين .

– تذليلا لكل عقبة ؟

– كلا .. بل بسبب ما في العمل من مخاطرة .. وهـذا ما يجب أن أبصرك به .

– إن احتمال المخاطرة لا يصدني عما أنا بسبيل القيام به .

– أعرف عنك هذا ، وأكثر من هذا .

– إعتقادك ان ما يكتنف العمل من أخطار محتملة ، يشدني اليه .. هل تعتقدين حقاً ان في التحاقي بهذا العمل مخاطرة ؟

– إن رجلا ما قد ارتكب جريمة قتل في مهارة فائقة ، ولولا مـا كان من مصادفة مشاهدة مسز ماك جيليكودي لهذه الجريمة عرضاً ، لمـا عرف أحد شيئاً عنها إلى الآن .

وقد قام رجال الشرطة بتقصي حقيقة مــا ابلغنــاهم به ، ولكنهم لم يتوصلوا إلى شيء ، وهكذا يجلس القاتل ناعماً مطمئناً لا يخشى اكتشاف أمره ، وليس علينا ليتحقق لنا ما نبغي سوى ان نحرص على عـدم إثارة شكوكه .

– ما الذي الحرى البحث عنه !

– أي دليل نتشبث به ، ولنبدأ من جانب الجسر ، بحثاً عن قطعة من ثوب او اثر لعشب محدوب – إلى آخر ما هو من هذا القبيل .

– وبعد ؟

– وسيكون من اليسير عليك الاتصال بي ، توجد خادم عجوز لي تقيم في براكهامبتون – فلورنس الوفية ، وكانت تتولى رعاية والديها لمدة اعوام ، وبعد ان انتقلا إلى الدار الآخرة بدأت تؤجر غرف المنزل لبعض الراغبين

من خيار القوم وقد اعدت لي غرفة للاقامة معها ، حيث ستقوم على خدمتي ، وبذلك ساكون على مقربة منك .

وأرى ان تذيمي ان لك عمة تقيم بالجوار ، وان هـذا هو السبب في اختيارك لعمل في مكان قريب منها ، بحيث تجدين فسحة من الوقت لزيارتها من حين لآخر .

– كنت راحلة إلى تاورمينا بعد الغد ، يمكن تأجيل الاجازة ، غير أن اقصى فترة يمكن ان اقضيها بهذا العمل ، هي ثلاثة اسابيع ، لأني مرتبطة بعمل آخر بعد ذلك .

– إن ثلاثـة أسابيع فترة طويلة ، إننـا ان لم نوفق أثناء هذه الفترة . فما أظن إلا اننا يجب أن نفقد الأمـل في الاهتداء الى أي دليل .

ونهضت مس ماربل منصرفة .

وبعد لحظة تفكير ، اتصلت لوسي بمكتب تسجيل في براكهامبتون كانت لها صلة وثيقة بالقائمة على ادارته ، وأبدت لها رغبتهـا في الالتحاق بعمل يكون قريباً من عمتها .

وبعد ان عرضت عليها الصديقة عدة اسماء اختتمت باقتراح إسم رزر فورد هول ..

الذي صادف هوى في نفس لوسي .

واتصل مكتب التسجيـل بمس كراكنثورب . التي اتصلت بدورها بلوسي .

وبعد يومين .. كانت لوسي في طريقها من لندن إلى روزفورد هول .

* * *

اجتازت لوسي ايلزبارو بسيارتها الصغيرة الباب الحديدي المهيب وبعد قيادة السيارة عبر المشى الطويل المتعرج بين صف من الأشجار الضخمة .

توقفت لوسي أمام البيت الذي كان صورة مصغرة لقلعة وندسور ، وارتقت الدرج الحجري إلى باب المنزل الذي اكتست جوانبه بالعشب الأخضر نتيجة للاهمال .

وجذبت حبل الجرس القديم ، وسمعت صدى صوته يدوي في إرجاء المنزل .

وفتحت الباب سيدة زرية المظهر ، تمسح على ثوبها بيديها ، وتتأملها في ريبة وهي تقول :

– إنها في انتظارك اليس كذلك ؟ أنت السيدة . بارو أو شيء من هذا القبيل كما قالت لي . .

– أجل اني الفتاة الموصى بها .

وكان المنزل شديد البرودة من الداخل . .

وتقدمتها المرأة عبر بهو مظلم ، ثم فتحت باباً على يمين الداخل .

ووجدت لوسي وسط دهشتها ، ان الباب يؤدي إلى غرفة جلوس فاخرة الأثاث ، تبعث البهجة في نفس الزائرين .

وقالت المرأة لها :

– سأحيطها علماً بوصولك.

ثم غادرت الغرفة ، وأوصدت الباب ، بعد ان نظرت إلى لوسي نظرة غير ودية .

وبعد بضع دقائق ، فتح الباب لتدخل منه إيما كراكنشورب .

وبمجرد أن وقع نظر لوسي عليها شعرت بارتياح لمرآهـا وبميل اليهـا

وكانت سيدة متوسطة العمر ، بين الأناقة والبساطة ، سوداء الشعر ، عريضة الجبهة ثابتة النظرات ، جميلة الصوت . وبادرت لوسي قائلة ، وهي تمد اليها يدها .

- مس ايلزبارو ؟

ثم تأملتها فاحصة ..

وهي تستطرد قائلة :

- إني لاتساءل عما إذا كان هذا العمل يناسبك ..

وتابعت :

- لست بحاجة إلى مديرة المنزل ، تشرف على شؤونه ، إنني أريد من تقوم بالعمل وتؤديه شخصياً .

وأجابت لوسي بأن هذا هو ما اقبلت لأجله ..

فقالت لها إيما كراكنثورب معتذرة :

- تعتقد الكثيرات ان العمل لا يتجاوز إزالة بعض الغبار ، وهو عمل في وسعي القيام به ..

- انني ادرك ما تعنين ، إنك تريدين مني القيام بجميع ما تتطلبه الحياة المنزلية من أعباء ، وهذا ما اضطلع به فعلاً .. إنني لا أتحرج من القيام بأي عمل كان .

- إن المنزل كبير ، وواسع ، ونحن - والدي وأنا لا نشغل منه سوى حيز صغير ، ووالدي رجل مريض وحياتنا هادئة ساكنة ، ولي اكثر من شقيق ، وان كانوا لا يقيمون معنا ، ويحضر امرأتان للقيام ببعض الأعمال مسز كيدر في الصباح ومسز هارت ثلاثة أيام في الأسبوع ، هل لديك سيارة ؟

- أجل . ويمكن ان ادعها في الخلاء ، اذا لم يكن ثمة مكان لها

- كلا ، لدينا متسع لها في الحظائر القديمة ، لا عليك من هذا ..
ايلزبارو - انه لقب غير مألوف ، لقد سمعت من بعض الأصدقاء عمن تدعى
لوسي ايلزبارو ، سمعت من آل كنيدي !

- أجل ، لقد كنت في خدمتهم في نورث ديفون حينما رزقت مسز كنيدي
بمولود .

وابتسمت ايما كراكنثورب

ثم قالت :

- لقد سمعت منهم انه كان لك الفضل فيما اتيح لهم من فترة هانئة
وادعة ، وانك هيأت لهم عيشاً رغداً ، ولقد انطبع في ذهني عنك أن
أجرك باهظ لن يكون في حدود امكانياتي .

- لقد رضيت بالأجر المحدد ، لأني أريد أن أكون على مقربة من
براكهامبتون !

ان لي عمة في حالة صحية دقيقة وأوثر ان اكون بالقرب منها ،
وهذا هو السبب في قبولي العمل بما حدد لي من أجر ، ان هذا لا يعنيني في
كثير أو قليل ما دمت أستطيع أن أعودها من آن لآخر .

- بكل تأكيد يمكنك أن تزوريها كل يوم بعد الظهر الى ما قبل السادسة
لو شئت ؟

- وهذا يناسبني .

وترددت مس كراكنثورب لحظة .

ثم قالت :

- ان والدي متقدم في السن ، وهو شديد المراس أحياناً ، ويحب
الاقتصاد في كل شيء ، ويعمد الى التفوه بما يسيء الى الناس أحياناً ولست
أحب أن !

فانبرت لوسي قائلة :

– لقد ألفت هـــذا الطراز من تقدم بهم العمر ، انني أعرف كيف أساس قيادهم .

ومري عن ايما كرا كنشورب

وحدثت لوسي نفسها قائلة :

- لا بد انها تعاني متاعب مع الوالد ؟ لعله ثري قديم !

وأفردت لها غرفة نوم شاسعة ، بمدفأة كهربائية ، واصطحبتهـــا مس كرا كنشورب في جولة بأرجاء المنزل !

وعندمـــا انتهيا أمـــام أحد الأبواب بالبهو ، بلغ سمعها صوت يهدر قائلا :

- ايما ؟ أهـــذه أنت ؟ وهل الفتاة الجديدة في صحبتك ؟ أريد أن القي نظرة عليها .

وارتج القول على ايما . .

والتفتت الى لوسي معتذرة

ودلفتا معـــا الى الغرفة وكانت هي الأخرى فاخرة الأثاث ، فيكتورية الطراز .

وكان السيد كرا كنشورب الشيخ جالسا فوق مقعد من المقاعد المخصصة للمرضى . .

والى جانبه عصا ذات مقبض .

وكان الرجل ضخما ، مديد القامة ، مكتنز الوجه ، عريض الفكين ، وقد وخط الشيب شعره الأسود .

وقال لها :

– دعينا نلق نظرة عليك !

وتقدمت منه لوسي ، وقد انفرجت شفتاها عن ابتسامة رقيقـــة .

وسمعت السيد يستطرد قائلا :

– أحب ان اصارحك بشيء واحد ، ان مجرد اقامتنا في هذا القصر لا تعني اننا قوم أثرياء ..

اننا أبعد ما نكون عن الثراء ! ولست احب الاسراف والتبذير ، اني اقيم في هذا القصر لأنه من تراث الآباء ، ولأني شديد التعلق به ويمكن لمن يشاء – بعد موتي – ان يبيعه ، وانهم لفاعلون ذلك ، لأنهم مجردون من كل شعور بالروابط العائلية

ان هذا البيت قوي البنيان صلد الجدران ، وتحيط به ممتلكاتنا الشاسعة انه يحقق لي ما أبغيه من عزلة ، ولن اوافق على بيع اي من هـذه الأراضي مـا دمت حيـاً ، اني لن اغادر هذا البيت ، الا محمولاً على الاعناق .

وحملق في وجه لوسي ..

التي قالت له :

– ان بيتك هو قلعتك .

– هل تضحكين مني ؟

– كلا ، بكل تأكيد اني ارى انه لأمر مثير ان يكون المرء مـنزل كهذا ، يحيط به كل ذلك الجمال الريفي .

– ان نظري لا يقع من هنا الا على الحقول والمراعي .

ثم استدار الى ابنته قائلاً

– اتصلي تليفونياً بهذا الطبيب الأحمق وقولي له ان الدواء الاخـير كان عديم الجدوى .

وغادرت كل من ايما ولوسي الغرفة .

وصاح الرجل في أثرهما :

– ولا تدعي هذه المرأة التي تقوم بتنظيف مكتبي تدخله ثانية ، لقد قلبت كتبي رأساً على عقب

وسألتها لوسي :

- هل قضى مستر كراكنثورب فترة طويلة عليلاً ؟

- اجل ، انه مريض من اعوام طويلة . هنا المطبخ .

كان المطبخ فسيحاً ، لكنه مهمل .

واستفسرت لوسي من ايما عن مواعيد وجبات الطعام . ثم قالت لايما كراكنثورب :

- لقد تم لي الالمام بكل شيء ولتدعي كل شيء لي .

وأوت ايما الى فراشها في تلك الليلة قريرة العين ، وهي تردد :

- لقد كان آل كنيدي على حق ، انها لفتاة رائعة .

واستيقظت لوسي من نومها في السادسة من صباح اليوم التـالي ، وقامت بعملها خير قيام من تنظيف المنزل الى اعداد الطعام ، الى القيام على خدمتهم أثناء وجبة الافطار .

وقد قامت بامت بمعاونتها بعد ذلك مسز كيدر .. التي جلست معها في المطبخ ، تتناولان قدحاً من الشاي ، وانطلقت مسز كيدر تثرثر من هنا وهناك ..

وقالت فيما قالت :

- ان العجوز أحمق كبير ، اما هي فليست بالمهضوم حقها . ان في وسعها ان تفعل ما تشاء اذا ما ارادت ذلك ، وانها لتحرص على أن يكون كل شيء على ما يرام حينما يحضر السادة .

اجل ، ان ابناء الاسرة عديدون ..

اكبرهم : مستر ادموند : قتل في الحرب .

ثم مستر سيدريك الذي يقيم في الخارج وهو عازب .

ومستر هارولد يقيم في لندن - وقد تزوج من ابنة ايرل

أما مستر الفريد ، فهو شاة الاسرة السوداء ، وقد تعرض للمتاعب

اكثر من مرة .

وهناك زوج مس ايديث ، مستر بريان وهو لطيف المعشر . ولقد توفيت زوجته منذ عدة اعوام ، غير انه يعد نفسه .. فرداً من أفراد الاسرة ..

وثمة الكسندر ، ابن السيدة ايديث ، وهو يحضر الى هنا لقضاء بعض ايام من اجازته المدرسية . وكثيراً ما تحمل عليه السيدة ايما حملات شعواء .

وجلست لوسي تصغي بانتباه الى هذه المعلومات التي جاءتها طواعية .

وأخيراً نهضت مسز كيدر قائلة :

- هل تحبين ان اساعدك في شيء ؟

- شكراً .. لقد انجزت كل شيء تقريباً ؟

- حسناً ، وانك لاهل لذلك ! يحسن بي ان انصرف الآن ، حيث لم يعد ثمة شيء اقوم به .

* * *

انصرفت السيدة كيدر ، واهتمت لوسي بتنظيف ما يتطلبه واجبها في المطبخ .

وبعد ان فرغت من اعداد طعام الغداء وتقديمه . قامت بتنظيف الاواني والاعداد لشاي الساعة ٥ .

كانت الساعة قد بلغت الثانية والنصف مساء . ووجدت ان لديها متسعاً من الوقت لتقوم بالاستطلاع الذي ترى انه عملها الاساسي الذي

جاءت من أجله .

وبدأت ذلك بجولة في الحديقة ، وكان بحديقة المطبخ بعض الخضراوات ، أما بيوت النباتات فكانت خراباً .

ووجدت ان ممرات الحديقة مكسوة بالعشب ، هنا وهناك . وكان البستاني شيخاً معمراً ، يكاد يكون اصم عاجزاً عن القيام بعمله خير قيام ، ووقفت لوسي تتجاذب معه اطراف الحديث ، وعلمت منه انه يقيم في كوخ ملحق بالحظائر .

وإلى الخلف من ساحة الحظائر كان يمتد طريق خلفي يؤدي إلى الحديقة الكبرى المسورة ، ومنها يمر تحت قنطرة السكك الحديدية إلى طريق خلفي ضيق .

ومن حين لآخر ، كانت لوسي تسمع هدير القطارات التي تجري على الخط الرئيسي عبر القنطرة الصغيرة .

ووقفت تتابع القطارات وهي تهدىء من سرعتها مجتازة المنحنى الحاد الذي يطوق ممتلكات كراكنثورب

وواصلت خطواتها تحت القنطرة إلى الدرب الضيق ، ورأت ان هذا الدرب غير مطروق .

وكان على احد جانبيه جسر السكك الحديدية ، وإلى الجانب الآخر ، جدار مرتفع يخفي مباني احد المصانع

وواصلت لوسي طريقها عبر الدرب إلى أن انتهت بها خطواتها إلى شارع يقوم على جانبيه بعض البيوت الصغيرة . وكان يطرق سمعها صوت حركة المرور بالطريق الرئيسي .

والقت نظرة على ساعتها واستفسرت من إحدى النساء التي تصادف خروجها من احد البيوت القريبة ، عما إذ كان يوجد تليفون عمومي قريب وكانت الاجابة ان مكتب البريد عند ناصية الطريق ، فشكرتها لوسي ،

وواصلت طريقها إلى مكتب البريد ، حيث قامت بالاتصال تليفونيا بمحل سكن مس ماربل .

وقد اجابها صوت نسائي حاد :

– إنها تقضي فترة راحتها ولن اقوم بازعاجها ! إنها سيدة متقدمة في السن ! ترى من المتحدث ؟

– مس ايلزبارو ، ليس من الضروري ازعاجها ، أرجو ان تقولي لها اني وصلت وان كل شيء على ما يرام واني سأتصل بها عندما يستجد ما يدعو لذلك .

وبعد ان اعادت سماعة التليفون إلى مكانها . عادت ادراجها الى روز فورد هول .

الفصل الخامس

تساءلت لوسي :

- اعتقد انه من الأوفق إذا ما اتيح لى ممارسة رياضة الجولف في الحديقة الكبرى ؟

- بكل تأكيد ، هل انت من هواة الجولف ؟

- لست بارعة فيه ، ولكني أحب عدم الانقطاع عن ممارسة هوايتي ، انها رياضة تغني عن رياضة المشي .

فزمجر مستر كراكنثورب قائلا :

- لا يوجد مكان يصلح للمشي خارج هذا المكان ، لا يوجد سوى بعض الأرصفة والأكواخ الحقيرة الضيقة ، إنهم يريدون ان يضعوا يدهم على ممتلكاتي ليشيدوا المزيد منها ، ولكنهم لن يبلغوا ما يريدون قبل مماتي ولن أموت مجاملة لأحد !

وانبرت إيما كراكنثورب تقول في وداعة :

- أبتاه !

- اني أعرف ما يدور بخلدهم - وماذا ينظرون . جميعهم : سيدريك ، وهذا الثعلب الخبيث هارولد والفرد الذي لا أستبعد أن يفكر في الاعتداء على حياتي للتخلص مني . ولست واثقاً من انه حاول شيئاً من هذا القبيل في

عيد الميلاد . فقد كان كيمبر في حيرة من أمره ولقد لمست هذا مما وجهة من أسئلة .

– إننا جميعاً معرضون لنوبات عصر الهضم من آن لاخر .

– فليكن . فليكن .. ولتفصحي عما تريدين قوله من انني أسرفت في تناول الطعام ! اليس كذلك ؟ ولماذا بكلي لون منه اسراف وتبذير ، وهذا يذكرني بما كان من أمر هذه الفتاة التي حملت إلي خمس قطع كبيرة من البطاطس في وجبة الغداء . إن قطعتين فيهما الكفاية ، هذا ما يجب ان يراعى في المستقبل

وانصرفت لوسي ايلزبارو مشيعة بتعليقاته عنها لبنته .

والتقطت هراوة من مجموعة الجولف التي كانت قد رأت أن تأتي بها معها .

ثم خرجت إلى الحديقة الكبرى بعد أن تسلقت سورها .

وبدأت تلهو باصابة بعض الأهداف .

وبعد خمس دقائق انحرفت كرة إلى جانب جسر السكك الحديدية ، وتبعت لوسي مسارها تبحث عنها . وتطلعت بعينها الى المنزل . الذي أصبحت على مرمى بعيد عنه .

وواصلت لوسي بحثها عن الكرة

وراحت تلهو بالكرة على منحدر الجسر تغطية لما تقوم به من بحث واستطلاع من الأعشاب النامية فوقه .

وتيسر لها أن تغطي بأبحاثها ثلث الجسر ، ولم تهتد إلى شيء ثم عادت تقذف بكرة الجولف في طريق عودتها إلى المنزل .

وفي اليوم التالي وضعت يدها على أول دليل ، حيث اكتشفت ان دغل شوك كان نامياً على جانب الجسر قد انتزع من مكانه ، وان قطعاً منه كانت متناثرة فوق .

وفحصت لوسي الشجرة فحصاً دقيقاً .. ووجدت إن قطعة من القراء كانت عالقة بشوكها ، وكانت القطعة قريبة اللون من خشب الفرع ، ألا وهو اللون البني الفاتح

وتأملتها لوسي لحظة ، ثم أخرجت مقصاً من جيبها واحتفظت لنفسها بجزء منها أودعته مظروفاً كان معها .

وهبطت المنحدر بحثاً عما قد عساها ان تعثر به من دليـل آخر . وراحت تتفرس بامعان في الأعشاب النامية بالحقل وتبينت أثر أقدام عبر هذه الأعشاب .

غير أن هذه الاثار لم تكن في وضوح ما انطبع من آثار اقدامهـا ، الأمر الذي يعني ان الاثار الأخرى قديمة العهد .

وبدأت تبحث بدقة بين الأعشاب النامية عند قاعدة الجسر ، اسفل الدغل المحطم .

وسرعان ما عثرت على ما يرضي فضولها ، ويجزيها عما بذلته من جهد خير الجزاء .

فقد وجدت علبة بودرة ، زهيدة الثمن ، أودعتها جيبها بعد أن غلفتهـا بمنديلها .

وبعد ذلك لم توفق إلى العثور على شيء آخر .

* * *

بعد ظهر اليوم التالي ، استقلت سيارتها وذهبت لزيارة عمتها المريضة .

وقالت لها إيما كراكنثورب في صوت رقيق :

ـ لا حاجة بك للعجلة ، يمكنك أن تعودي مع ساعة العشاء .

فردت لوسي :

– شكراً ، ولكنني لن أتأخر في العودة لما بعد السادسة

كان المنزل رقم ٤ بطريق ماديسون منجـــابي اللون نظيف الستائر ، يوحي باب المدخل ، بما بذل في العناية بتنظيفه وتلميع مقـــابضه النحاسية

وفتحت الباب امرأة عابسة الوجه ، ترتدي السواد ، طويلة القامة . وكانت تتأمل لوسي بنظرات فاحصة وهي تصطحبها إلى حيث تقيم مس ماربل .

وكانت جين تشغل الغرفة الخلفية التي تطل على الحديقة الصغيرة . وكانت جين جالسة فوق كرسي كبير بجوار المدفأة .

وبعد أن أغلقت لوسي الباب ، اتخذت لها كرسياً بمواجهة المس ماربل ..

وبعد أن استقر المقام بها قالت .

– يبدو أنك كنت على حق .

وقدمت لمس ماربل ما عليه ، ثم أحاطتها علماً بظروف وكيفيـــة عثورها عليها .

وطابت جين نفساً بما تحقق من ظنها !

ثم سألت :

– انه لمما يثلج صدر الانسان أن تكون له وجهة نظر ، يثبت له بعدها انها كانت صحيحة . وأن رأيه كان صواباً !

وأشارت إلى قطعة الفراء قائلة :

– قررت الزبيث بأن الجني عليها كانت ترتدي معطف فراء بهذا اللون وأعتقد أن علبة البودرة كانت في جيب معطفها . وانهـــا سقطت منه بتدحرج الجثة فوق المنحدر . هل انتزعت القطعة العالقة بفرع الشجرة

بأسرها ؟

– كلا لقد تركت نصفها حيث وجدتها .

فهزت حين برأسها تقر ما فعلته لوسي :

– لقد أحسنت صنعاً ، انك شديدة الذكاء . ستقوم الشرطة بتقصي الحقائق . ومن هنا كان من المتمين ألا تلتقطي بأكملها حيث يجب أن يتحقق رجال الشرطة من الفرع الذي كانت قطعة الفراء عالقة به

– وهل ستعرضين هذه الأشياء على رجال الشرطة ؟

– لم يأن الأوان بعد . أعتقد انه من الأفضل العثور على جسم الجريمة أولاً .. ألا توافقين على ذلك ؟

– بلى .. ولكن الن يستغرق العثور على الجثة فترة طويلة ؟ مع التسليم بوجهة نظرك ، من ان القاتل دفع بالجثة من القطار ، ثم غادره في براكهامبتون وبعدها عاد إلى حيث القى بالجثة ليتخلص منها . فماذا ترينه فعل بعد ذلك ؟ أترينه نقلها إلى مكان ما ؟

– ليس إلى مكان ما – لقد جافاك الصواب في هذا الاستنتاج، اي عزيزتي مس ايلزبارو .

– أرجو أن تناديني باسم لوسي ترى فيم اخطأت ؟

– لأنه إذا صح ما تقولين ، لكان من الأيسر للرجل أن يقتل الفتاة ، في بقعة مهجورة . ثم ينقل الجثة بعيداً عنها . لقد فاتك أن .

– هل أفهم من هذا أن الجريمة كانت مع سبق الاصرار ؟

– لم يكن هذا هو رأيي في أول الأمر لقد بدا لي الأمر على أنه شجار فقد فيه الرجل السيطرة على أعصابه فعمد إلى خنق الفتاة .

فلما تحقق مما قالته ووجد نفسه وجهاً لوجه مع جثة ضحيته كان عليه أن يجد حلاً لهذه المشكلة في بضع دقائق .

ثم أنه يبدو أكثر من مصادفة أن يقتل الرجل الفتاة في ثورة غضب . ثم يطل من النافذة ليجد أن القطار يجتاز منحنى في مكان يستطيع أن يقذف بالجثة اليه ..

ويقدر أن في وسعه أن يعود أدراجه فيما بعد لنقل الجثة !

هذا تحمل الوقائع بأكثر مما تحتمل !

أن يلقي بالجثة في مكان مـا بطريق الصدفة ، ثم يعود اليهـا بعـد تخلصه منها .

فلئن كان قد فعل ذلك مصادفة — القتل والتخلص من الجثة — لما كان قد عـاد لنقل الجثة وكلف قاتله نفسه هذا العناء ، بعد أن خدمته الظروف الحسنة .. ولبقيت الجثة في مكانها حيث يكتشف أمرهـا فيما بعد .

وتوقفت مس ماربل عن الكلام قليلا ..

بينما راحت لوسي تحملق فيها .

ثم استطردت جين قائلة :

-- هل تعرفين أن هذه الجريمة قد أحكم تدبيرها والاعداد لهـا بكل دقة . إن ارتكاب الجريمة في القطار كان من شأنه أن يضيع الكثير من معالمها ، ويسدل عليها ستراً من الظلام والغموض ، فإذا ما كان القاتل قد قارف جريمته حيث تقيم ضحيته ، لأثار هذا شكوك جيرانها ورددوا إسم من كان يتصل بها .

وعلى فرض انه قام باصطحابها في سيارته إلى مكان مـا ، لأدلى البعض بمعلومات عن سيارته تؤدي إلى اكتشاف أمره .

أما القطار فيختلف عن ذلك من جميع النواحي . وبالذات إذا مـا كان القاتل قد أعد لكل خطوة خطتها .

إن هـذا القاتل يعرف كل شيء عن روز فورد هول . موقعهـا

الجغرافي وعزلتها عما حولها .. إنها بمثابة جزيرة تحيط بها الخطوط الحديدية من كل جهة .

- هذا صحيح إنها قطعة من الماضي تضطرب الحياة الحضرية من حولها ، ولكنها لم تقربها .

- ولنفترض أن القاتل قدم إلى روذر فورد هول في تلك الليلة ، مع العلم بأن الظلام كان حالكاً حينما ألقي بالجثة من القطار ، وكان من المستبعد أن يكتشف أمرها قبل اليوم التالي .

- هذا صحيح .

- ثم ما هي الوسيلة التي سيحضر بها القاتل ؟ هل سيستقل سيارة ؟ وأي طريق سيسلك ؟

- ثمة طريق غير ممهد يمتد بطول جدار المصنع . وأرجح أنه سلك هذا الطريق . ثم اجتاز قنطرة السكك الحديدية ليواصل سيره عبر الطريق الخلفي ويمكنه بعد ذلك أن يتسلق السور ويتجه إلى قاعدة الجسر ، حيث يجد الجثة التي يعود بها إلى السيارة .

- ثم يحملها إلى مكان وقع عليه اختياره من قبل . هذا ما قد يجول في الخاطر استنباطاً . غير إنني لا أرى أنه حمل الجثة بعيداً عن روزرفورد هول إن التسلسل المنطقي يحدو بنا إلى أنه لجأ إلى دفن الجثة في مكان ما .. أليس كذلك ؟

- اعتقد ذلك ، وإن كنت أرى أن الافتراض ليس بالسهولة التي يبدو بها .

- لم يكن ليتيسر له هذا في الحديقة الكبرى . إن هذا كان يقتضي منه مجهوداً مضنياً ، علاوة على ما في ذلك من مخاطرة . أيوجد مكان أكثر صلاحية لذلك ؟

- حديقة المطبخ مثلاً .. وإن كانت على القرب من كوخ

البستاني إنه عجوز أصم - وإن كنت أرى أن في ذلك مخاطرة لا يغفل القاتل عنها .

-هل توجد كلاب حراسة

- كلا . .

- إذن فيمكن أن يودع القاتل الجثة إحدى الصوامع ؛ أو أحد مرافق الدار ؟

- هذا أكثر يسراً وأسرع إجراء .. إذ يوجد هناك الكثير من المباني القديمة المهجورة : كحظائر الخنازير .. وغرف المهمات والسروج ؛ مما لا يقربها أحد ؛ أو لعله أخفاها في دغل من الأدغال .

وطرقت الباب فلورنس .. التي أقبلت تحمل صينية الشاي .. قائلة :

- من الخير لك أن يزورك أحد .. لقد أتيت لك ببعض فطائرك المفضلة .

- إن فلورنس تتقن إعداد بعض الفطائر .

وانفرجت شفتا فلورنس عن ابتسامة الرضا عما أطرته به مس ماربل . .

ثم غادرت الغرفة .

فقالت ماربل :

- أظن يا عزيزتي ؛ انه من الخير لنا ألا نتحدث عن القتل أثناء تناول الشاي انه حديث مقبض

وبعد أن فرغت لوسي من تناول الشاي . .

نهضت قائلة :

- سأعود أدراجي ، وكما قلت لك لست ارى بين من يقيمون في

بروفورد هول . الرجل الذي نبحث عنـه . لا يوجـد بالقصر سوى رجل متقدم في السن .. وفتاة في منتصف العمر . وبستاني عجوز أصم .

-- لم أقل أن القاتل من بين المقيمين هناك . كلما صدر عني يعني بعني أنه رجـل يعرف روذ فورد هول معرفة جيدة . غـير انني أرى أن نرجىء الحـديث في ذلك إلى مـا بعد العثـور على جسم الجريمة !

- يبدو لي انك واثقة كل الثقة من العثور على الجثة ، انني اقل منك تفاؤلاً !

- إنني جد واثقة من انك ستوفقين ؛ وذلك لان كلي ثقـة في كفاءتك .

- قد يصح حكمك علي بالنسبة لاعمال أخرى ، اما بالنسبة للبحث عن الجثث ؛ فهذا ما ليست لي خبرة به سابقة !

- ان ذلك لا يختلف عن غيره فيما أعرف عنك من نفاذ بصيرة وحسن إدراك الأمور !

وتطلعت اليها لوسي ضاحكة .

وابتسمت لها مس ماربل مشجعة !

* * *

استأنفت لوسي ابحاثها بعد ظهر اليوم التالي !

وراحت تجوس خلال غرف المهمات وحظائر الخنـازير المهجورة وبينما كانت تحدق النظر خلال زجاج بيت النبات سمعت من يسعل !

واستدارت لتجد البستاني هيلمان ، يحدجها بنظرات متسائلة ، وهو يقول محذراً :

– حذار أن تزل قدمك ، إن هذا الدرج لا أمان له ، ولقد رأيتك فوق سقف المرجل ، وهو الآخر لا يقل خطورة عن الدرج .

وكانت لوسي واقفة أعلى الدرج المؤدي إلى غرفة الغلاية الموجودة أسفل بيت النباتات . ولما كانت حريصة على ألا تبدر منها بادرة تثير الشك في سلوكها . .

قالت مبتسمة :

– لعلك ترى في فتاة فضولية ، لقد كنت اتساءل عما إذا كان يمكن استغلال هذا المكان فيما هو أجدى ، إن كل شيء يبدو مهملا .

– هذا راجع إلى سيد الدار ، انه لا يريد أن ينفق بنساً واحداً ، إن العمل في الحديقة يتطلب ثلاثة رجال على الأقل لكي تبدو في المظهر اللائق بهذا القصر ، لقد كان يريد مني أن أهذب الحشائش باليد حتى لا يبتاع الآلة الخاصة بذلك .

– وقد كان في وسعه أن يستغل هذه المساحات الشاسعة فيما يعود عليه بالنفع إذا ما ضحى قليلا ببعض النفقات .

– ان هذا لا يعنيه في كثير أو قليل . المهم انه لا يريد أن يدفع ، إنه مولع بالادخار وانه ليدرك تمام الادراك ماذا سيكون بعد وفاته – إن السادة من أبنائه سيسرعون ببيع العقار ، انهم يترقبون موته بفارغ الصبر انهم سيرثون الكثير بعد وفاته .

– أظن انه رجل واسع الثراء ؟

– إن آل كراكنثورب قوم خياليون ، يعيشون في الأوهام .
لقد كان كراكنثورب الأب رجلا عصامياً جمع ثروته وقام بتشييد

هذا القصر . وكان رجلا صعب المراس ، قوي الشكيمة غير انه كان سخياً ينفق عن سعة . أبعد ما يكون عن البخل والتقتير .

وقد خيب ولداه آماله فيهما ، كما يحكى عنه .

لقد أتاح لهما فرصة الالتحاق بالجامعة ، أكسفورد . وحرص على تنشئتهما نشأة السادة المهذبين .

ولكنهما لم يسلكا مسلك والدهما الجد ، المكب على عمله فتزوج الابن الأصغر من ممثلة ، ثم راح ضحية حادث اصطدام سيارته التي كان يقودها ثملا !

أما الابن الأكبر ، وهو سيد هذه الضيعة الآن ، فإن والده لم يأمل فيه خيراً . وكان يمضي معظم أيامه في الخارج حيث ابتاع الكثير من التماثيل الوثنية التي كان يبعث بها إلى موطنه ، ولم يورث إلا بعد أن بلغ منتصف العمر . ولم يكن الابن على وفاق مع الأب كما يقولون .

ووقفت لوسي تستمع الى هذه المعلومات ، وهي تود لو فرغ الرجل من حديثه عن الماضي !

ولكن الرجل كان يؤثر الثرثرة على القيام بالعمل !

واستطرد قائلا :

– لقد توفي كراكنثورب الأب قبل الحرب . وكان حاد الطبع لا تلين له قناة .

– وبعد وفاته هل قدم السيد الحالي للاقامة هنا ؟

– أجل ، هو وأسرته . ولم يكن أبناؤه قد شبوا عن الطوق بعد .

- هل تعني عام ١٩١٤ ؟

– كلا لقد توفي في عام ١٩٢٨ ، هذا ما كنت أعنيه !

- حسناً . أظن أنك تريد أن تواصل عملك . لن أحول بينك وبين هذا !

- لقد أمسينا في ساعة متأخرة من النهار وحين يضعف الضوء فلا يمكن للمرء أن يواصل القيام بعمله

وعادت لوسي أدراجها إلى المنزل حيث وجدت إيما كراكنثورب واقفة بالبهو تقرأ رسالة وردت مع ساعي البريد .

وبادرتها قائلة :

- إن إبن شقيقي قادم غداً - وفي صحبته أحد زملائه ، إن غرفة الكسندر تقع أعلى الدهليز ، وستخصص الغرفة المجاورة لها لجيمس ستودارت - وست . ويمكنهما استعمال غرفة الاستحمام المقابلة للغرفتين .

- سأتولى إعداد الغرفتين

- المفروض أن يكون وصولهما في الصباح قبل ساعة الغداء ، وأظن انهما سيكونان متلهفين على طعامهما .

- هذا هو المنتظر .

- إن الكسندر ذوّاقة .

* * *

وصل الفتيان في صباح اليوم التالي ، وكانا أنيقين يعنيان بتصفيف شعرهما ، صبوحي الوجه ، يحرصان على الالتزام بقواعد اللياقة وحسن السلوك .

وكان الكسندر ايستلاي أشقر الشعر أزرق العينين . اما ستودارت

وست فقد كان أسود الشعر قصير النظر .

ولم ينقطعا عن الحديث عن عالم الرياضة أثناء الجلوس إلى مائدة الغذاء . وكان حديثهما عن عالم الفضاء بحديث الأساتذة الكبار مما أشعر لوسي بصغر شأنها في مجلسهما .

ولم يبق الفتيان على شيء من الطعام . الأمر الذي حدا بمستر كراكنثورب ان يزمجر قائلاً :

– لم يبق إلا أن تلتهماني

ورمقه الكسندر بنظرة عتاب قائلاً :

– سنرضى بتناول الجبن مع الخبز إذا لم يكن لك قبل بثمن اللحوم أيها الجد العزيز .

– ليس لي قبل بثمنها ؟ إن في استطاعتي ذلك بكل تأكيد اكل ما في الأمر انني لا أحب الاسراف

– اننا لم نسرف في شيء .

عقب ستودارت وست بهذا ، بينما راح يتأمل صفحة الطعـــام التي تؤيد كلامه !

وقال الجد:

– انكما تلتهمان من الطعام ضعف الكمية التي التهمها .

– اننا في سن المراهقة ، وفي حاجة ماسة الى المزيد من البروتينات .

وبعد أن نهض الفتيان عن مائدة الطعام . سمعت لوسي الحفيد الكسندر يعتذر لصديقه قائلاً :

– لا عليك من جدي . انه يلتزم في طعامه بنظام خـــاص . علاوة على انه متناهي البخل ، وأعتقد ان هـــذا نتيجة لعقدة نفسية من نوع ما .

– ان لي عمة كانت في فقر من خشية الفقر . ولقد كانت جمـــة

الثراء . ثمة من الناس من يعيشون في شقاء ثرائهم ، هل أتيت معك بكرة القدم ؟

* * *

بعد ان فرغت لوسي من رفع بقايا الطعام وتنظيف الصحاف غادرت المنزل . وسمعت صوت الفتيين يتناديان عن بعد عبر الخميلة .

أما هي فخطت الى الاتجاه المضاد عبر الطريق الأمامي ومنه الى مجموعات أشجار الصبار ، وبدأت بحثها الدقيق بين الأوراق والفروع وكانت تنتقل من دغل الى آخر .

وبينما كانت تعبث بعصاة الجولف بين الشجيرات ، سمعت صوت الكسندر ايستلاي يبادرها قائلاً :

– هل تبحثين عن شيء ما؟

– عن إحدى كرات الجولف او اكثر من واحدة اذا شئت الحقيقة فقد كنت أمارس هذه الرياضة بعد ظهر كل يوم تقريباً ورأيت أن أبحث عما فقدته منها اليوم بصورة جدية .

– سنقوم بمساعدتك في البحث عما تبغين .

– شكراً ، لقد خيل الي انكما كنتما تمارسان رياضة كرة القدم ؟

– لا يمكن مواصلة اللعب بعد أن يشعر اللاعب بالدفء الشديد ، هل تمارسين رياضة الجولف كثيراً ؟

– انني أهوى هذه الرياضة ، ولكنني لا أجد متسعاً من الوقت لممارستها كما ينبغي !

– هذا صحيح . هل تقومين بطهو الطعام ؟

– أجل !

كان الغذاء رائعاً بكل لون من الوانه .

– ليس عليك سوى أن تحيطني علماً بما تفضله من الوان الطعام .

– ان اللون المفضل عندي هو عصيدة التفاح

– فليكن !

– ستودارت ، يوجد جهاز كامل للجوارف أسفل الدرج ما رأيك في الانتفاع به ؟

– اقتراح مقبول !

– ان ستودرات وست ليس بالاسترالي كما يبدو من لهجة حديثه . انه يعد نفسه لمباراة تجريبية .

وشجعتهما لوسي على أن يأتيا بمعدات الجوارف من المنزل .

وفي أثناء عودتها الى المنزل فيما بعد ، وجدتهما يقومان بالإعداد للعبة فوق أرض الحديقة .

وسمعتهما يتناقشان في أوضاعها العددية . وأشارت عليهما بما وضع حداً للمناقشة بينهما !

ورأوا جميعاً ان الأمر يتطلب اعادة طلاء القوائم باللون الابيض !

وقال الكسندر معقباً وقد تهلل وجهه بشراً :

– فكرة رائعة .. أظن أن ثمة أكثر من وعـــاء للطلاء في المخزن الكبير – تركها هناك بعض عملاء الطلاء .. هل نذهب للتحقق من ذلك ؟

وسألته لوسي عما عساه ان يكون هذا المخزن الكبير ؟

وأشار الكسندر بيده الى بناء حجري مستطيل بعيداً عن المنزل وعلى مقربة من الطريق الخلفي

وأردف قائلاً :

– انه متناهي القدم ، إن جدي يطلق عليه إسم المخزن العتيق إن به مجموعة كبيرة من مقتنيات جدي . إنه يضم الكثير مما بعث به جدي حينما كان مقيماً في الخارج هيا بنا لنتفقد ما به .

ورافقتها لوسي مرحبة بالاقتراح ..

وكان باب المخزن ضخماً ، مصنوعاً من خشب البلوط ومد الكسندر يده لينتزع المفتاح الموجود على أوراق اللبلاب على يمين الداخل ، وفتح الباب الذي ولف ثلاثتهم منه إلى المخزن

وشعرت لوسي لأول وهلة ، إنها في متحف فريد في بابه .

ووقع نظرها على تمثالين من الرخام لرأسين رومانيين يحملقان النظر فيها ، وعلى تابوت ضخم من العصر الاغريقي - الروماني وعلى تمثال لفينوس مثبت فوق قاعدته .

وعلاوة على هذه الأعمال الفنية ، كانت توجد مجموعة من المقاعد والمناضد وغير ذلك من الأشياء القديمة المستهلكة مما يلقى به في المخازن عادة .

وسمعت لوسي وهي تخطو بين هذا الركام الكسندر يقول :

– أعتقد انني رأيت وعاء الطلاء هنا !.

وعثروا أخيراً على ضالتهما في أحد الأركان ، غير أن الطلاء كان جافاً لقدم عهده .

وكان من رأي الفتيين الذهاب لشراء القليل من زيت التربنتينا ، ورحبت لوسي بهذه الفكرة وحثتهما على تنفيذها فوراً !

وانصرف الفتيان وتركاها بمفردها في المخزن ، بعد أن استفسرت من الكسندر عن مكان وضع المفتاح بعد انصرافها .

ووقفت تتلفت فيما حولها ، واستقرت عيناها على التابوت . لا تحيدان عنه .

هذا التابوت

واتجهت اليه ، وكان غطاؤه ثقيلاً محكماً ، وتأملته لوسي مستغرقة في التفكير .

ثم غادرت المخزن واتجهت إلى المطبخ حيث التقطت قضيباً حديدياً عادت به ووجدت عناء في رفع غطاء التابوت .

ولكنها بذلت جهداً مضنياً إلى أن وفقت أخيراً وبدأت ترفع الغطاء ، مستعينة بالقضيب الحديدي .

وكشف الغطاء بالقدر الكافي الذي يتيح للوسي أن ترى ما بداخل التابوت . .

الفصل السادس

وبعد بضع دقائق ، غادرت لوسي ، التي كانت شاحبة الوجه المحزن ، ثم أغلقت الباب وأعادت المفتاح الى مكانه بين اوراق اللبلاب .

وأسرعت إلى حيث تودع سيارتها التي استقلتهـا عبر الطريق الخلفي إلى مكتب البريد .

لتتصل تليفونياً بجين ..

ـ أريد التحدث إلى مس ماربل .

ـ هل ثمة ما يبرر ازعاجها ؟ مس إيلزبارو اليس كذلك ؟

ـ بلى ويجب إزعاجها إن الأمر عاجل .

ـ لن أقوم .

ـ أرجوك أن تفعلي ما أسألك إياه فوراً .

وكانت لهجة لوسي قاطعة بحيث لم تدع لفلورنس مجـالاً لمناقشتها . وأسرعت فلورنس تصدع بالأمر ، وسرعان مـا سمعت لوسي صوت مس ماربل :

ـ لوسي ؟

ـ أجل ، لقد كنت على حق فيما رأيت ، لقد وجدتها

– الجثة ؟ جثة المرأة ؟

– أجل ، جثة المرأة في معطف من الفراء ، عثرت بهـا مودعة في تابوت صخري في مخزن أشبه بمتحف بالقرب من البيت ، بماذا تشيرين علي أن أقوم به ؟ هل أقوم بابلاغ الشرطة ؟ .

– نعم يجب أن نبلغ الشرطة فوراً .

– وماذا عدا ذلك ؟ وماذا عن موقفك ؟ إن أول سؤال سيوجه الي سيكون عن السبب الذي دعاني إلى ما قمت به ، هل تبغـين أن أتعلل بأي سبب ؟

– كلا .. أعتقد انك خـير من يدرك أن تقرير الحقيقة هو خـير السبل .

– هذا فيما يتصل بك ؟

– فيما يتصل بكل شيء ..

– لقد أزحت عن عاتقي عبئاً ثقيلاً ، غير انني أحسب انهم لن يصدقوني بسهولة !

وانهت المكالمة وانتظرت لحظة !

ثم عادت لتتصل بمركز الشرطة :

– لقد عثرت بجثة ، في تابوت بالمخزن الكبـير الملحق بروذرفورد هول .

– ماذا تقولين !

ورددت لوسي ما سبق أن قالته ، وألحقت هذا بذكر اسمها ، إذ كانت تعرف أنهم سيسألونها عنه

وعادت من حيث أتت !

وأودعت سيارتها مكانها ، ثم دخلت المنزل ، وتوقفت في البهو لحظـة ، تمعن التفكير .

ثم استقر رأيها على قرار !

اتجهت بعده الى المكتبة حيث كانت تجلس مس كراكنثورب تشترك مع والدها في حل لغز الكلمات المتقاطعة .

- مس كراكنثورب ! هل تسمحين بلحظة أتحدث فيها اليك ؟

فرفعت مس كراكنثورب عينيها اليها مستفسرة !

وبدا من نظراتها، انها قدرت أن يكون الحديث عن بعض الشؤون المنزلية .

وانبرى مستر كراكنثورب قائلاً في عصبية بادية .

- فلتتحدثي بما تشائين .

واتجهت لوسي الى إيما قائلة

- بودي او تحدثت اليك على انفراد .

فعقب مستر كراكنثورب قائلا :

- هراء عليك ان تتحدثي فوراً بما تشائين ، وهنا !

ونهضت ايما متجهة نحو الباب قائلة ·

- لحظة ، يا أبي !

- هراء ، يمكنها أن تؤجل حديثها الى ما بعد !

فقالت لوسي :

- أخشى أن ما لدي لا يحتمل التأجيل .

- يا للوقاحة والجرأة !

وخرجت ايما الى البهو حيث تبعتها لوسي ، وبادرتها ايما قائلة بعد أن أوصدت الباب :

- ماذا جرى ؟ اذا ما كان الأمر بسبب زيادة أعبائك تبعـــا لوجود الفتيين ، ففي وسعي أن !

- كلا . ان الموضوع بعيد عما جال في خاطرك كل البعد ، لم أشأ

أن الحدث في وجود والدك لأنه عليل قد لا تحتمل صحته أية مفاجأة ، لقد عثرت لتوي بجثة امرأة قتيل في هذا التابوت الكبير الموجود بالمخزن أو بالمتحف على الأصح

وحلقت اميا في وجه لوسي وهي تردد :

– في التابوت ؟ امرأة مقتولة هذا مستحيل !

– يؤسفني أن أقرر لك بأن هذه هي الحقيقة ، ولقد قمت بابلاغ الشرطة ولعلهم في طريقهم الى هنا

– كان من الواجب عليك أن تبلغيني أولاً – قبل أن تقومي بابلاغ الشرطة .

– أعتذر عن هذا الخطأ

– ولكنني لم اسمعك تتصلين تليفونياً !

– كان اتصالي من مكتب البريد .

– ولماذا لم تتصلي من هنا ؟

– خشيت أن يسمعني الصبيان !

– فهمت ... نعم – فهمت . انهم قادمون – أعني رجال الشرطة ؟

– لقد وصلوا فعلاً .

وكانت لوسي قد سمعت صوت فرامل السيارة التي توقفت امام باب المنزل .

وأعقب قولها هذا رنين الجرس الذي دوى في أنحاء المنزل .

* * *

– انني لجد آسف ، اذ سألتك عن هذا !

قال المفتش بيكون ذلك ، وهو يتأبط ذراع ايما كراكنثورب عند مغادرتهما المخزن !

وكان وجه ايما شاحباً ممتقعاً وهي تقول :

– اني واثقة كل الثقة من أنه لم يسبق لي أن وقع نظري على هذه المرأة طوال حياتي .

– اني اقدر لك ما قمت به ، وهذا هو كل ما أردت أن أعرفه منك ، ربما كنت بحاجة الى بعض الراحة ؟

– يجب أن أرى والدي أولاً ، لقد اتصلت تليفونياً بالدكتور كيمبر بمجرد سماعي لهذا النبأ ولعله موجود معه الآن !

وخرج الدكتور كيمبر من المكتبة أثناء عبورهم البهو – وكان رجلا ، مديد القامة بادي الذكاء ارتجالياً عديم الاكتراث ، مما من شأنه أن يثير مرضاه في بعض الأحيان .

وحيا كل من الطبيب والمفتش الآخر بايماءة من رأسه .

وبادره بيكون قائلاً :

– لقد قامت مسز كراكنثورب بعمل مجيد وان كان فيه الكثير من الارهاق لها

وعقب الطبيب قائلاً وهو يربت بيده على كتفها :

– أحسنت صنعاً ، كنت أعرف دائماً انك قادرة على مواجهة الأحداث ، ان والدك بخير ، بعد أن تدخلي للاطمئنان عليه يجب ان تتوجهي الى قاعة الطعام لتتناول ما يأمرك به الطبيب في هذه الحالات – كأس براندي !

فابتسمت ايما له شاكرة ودلفت الى المكتبة !

وتبعها الطبيب بنظراته قائلاً :

– انها عصب الحياة في هذه الدار ، انها الفتاة الوحيدة في أسرة من

من الرجال ، بعد أن توفيت شقيقتها الأخرى التي سبق لهـا الزواج في سن السابعة عشرة .. وكان من المفروض أن تكون إما خير زوجة ، وخير أم .

-- أظن أنها شديدة التعلق بوالدها .

-- علاوة على ما تتحلى به من صفات أخرى - ألا وهي قدرتهـا الغريزية على إرضاء والدها ، ومن هذا القبيل أنهـا تدرك أن والدها يود أن يعامل دائماً معاملة المرضى . فتحرص على معاملته كذلك .

وهي لا تقل رعاية لأشقائها عن رعايتها لوالدها وتعمل على إرضاء نزوات كل منهم .

فهذا سيدريك الذي يرى في نفسه رساماً بارعاً ..

وذلك الفريد الذي يصر على أن يسرد على مسمعها أعماله الباهرة .

وهارولد الذي تلقي في روعه أنها تعول على رأيه السليم ، إنها فتاة بارعة لماحة الذكاء ..

والآن ، هل تريد مني شيئاً ؟ ان القي نظرة على الجثة التي تولى أمرها جونستون (جونستون هو طبيب الشرطة) لأرى ما إذا كانت ضحيـة لخطأ طبي ؟

-- بودي لو القيت نظرة عليها ، أنني أريد التعرف على شخصيتها أعتقد أن ذلك سيكون شاقاً على مستر كراكنثورت الشيخ ؟ لعل في هذا أكثر من طاقته ؟

-- طاقته ؟ كلا أنه لن يغفر لك أو لي تجاهله ، إنه لا يتأثر بشيء انه ثابت كالطود .

- إذن فليس ثمة ما يقلق ؟

-- أنه في الثانية والسبعين ، هذا هو كل ما في الموضوع ، وهو يعاني من بعض آلام الروماتيزم . ترى من سلم منها ؟ أما هو فيصر على أنه

مصاب بالنقرس .

كما أنه يشعر بخفقان بعد كل وجبة ويرجعها إلى ضعف في القلب ، إن لدي الكثير من هذا الكراز من المرضى .. إن المرضى بحق لا يعترفون بأنهم مرضى ويصرون على أنهم أصحاء معافون ، هيا بنا نلقي نظرة على هذه الجثة .

– أظن أنها في أسوا حال؟

– يقدر جونستون أن الوفاة ، كانت منذ أسبوعين أو ثلاثة .. على الأكثر !

– بما يعني أن مرآها لا يسر الناظرين .

ووقف الطبيب إلى التابوت يتأمل الجثة في فضول ..

ثم قال :

– لم يسبق أن وقع عليها نظري من قبل ، وهي ليست بين مرضاي ولا أذكر أنه سبق لي الالتقاء بها في باركهامبتون ، أعتقد أنها كانت على قدرة من الجمال !

وخرجا إلى الهواء الطلق .. ووقف الدكتور كيمبر يتأمل المبنى قائلا :

– ترى من الذي عثر عليها !

– مس لوسي إيلزبارو ..

– آه ، مديرة المنزل الجديدة ؟ ماذا كانت تفعل في المخزن المهجور ؟ وماذا أتى بها إلى هذا التابوت .

– هذا هو ما سأستفسر منها عنه ، والآن بالنسبة لمستر كراكنثورب ترى هل ؟

– سأتولى ذلك عنك !

وأقبل مستر كراكنثورب متدثراً بطيلسانه يخطو مسرعاً والطبيب

إلى جانبه .

وقال وهو يدلف إلى المخزن في حدة

– يا للعار ! لقد أتيت بهذا التابوت من فلورنسا في عام ١٩٠٨ – ١٩٠٩ على الأرجح

وحذره الطبيب قائلا :

– تمالك نفسك إن ما أنت مقبل عليه ليس بالشيء الهين ، إذ يجب أن أقوم بواجبي أليس كذلك ؟

– لا عليك !

وكانت زيارة دراكمثورب المخزن قصيرة !

خرج بعدها إلى الهواء الطلق وهو على وشك أن يعدو هرباً من جو المخزن الخانق

وقال أخيراً :

– لم يسبق لي أن رأيت هذه المرأة من قبل ! يا للعار ! لقد تذكرت الآن ، لم تكن المدينة فلورنسا – لقد كانت نابولي .. إن التابوت قطعة فنية رائعة ، وها هي تلك المرأة الحمقاء لا يحلو لها إلا أن تقتل بداخله !

ثم وضع يده على قلبه .

واستطرد قائلا .

هذا أكثر من طاقتي . قلبي ، أين إيما ؟

وأخذ الدكتور كيمبر بذراعه قائلا :

– ستكون بخير عليك بتناول كأس من البراندي .

وعادا أدراجهما معاً إلى المنزل

وسمع المفتش بيكون من يناديه قائلا :

– سيدي معذرة سيدي .

واستدار ليرى صبيين مقبلين نحوه لاهثي الأنفـاس ، وقد أمسك كل منهما بدراجته !

وقال أحدهما :

– سيدي ، هل يمكن أن نلقي نظرة على الجثة ؟

– كلا غير مصرح بذلك !

– نرجوك يا سيدي ، فقد نتعرف على الجثة ، ما الذي يحول دون ذلك ؟ هذا حادث قتل في المخزن الملحق بدارنا .. قد تستفيد يا سيدي من معلوماتنا ..

– ماذا تدعوان !.

– أدعى الكسندر إستلاي وهذا صديقي جيمس ستودرات وست .

– هل سبق لكما أن التقيتما بسيدة شقراء ترتدي معطفـاً من الفراء في هذه الأرجاء ؟

– لست أذكر على وجه التحديد ، ربما إذا القيت .

– خذهما إلى الداخل يا ساندرز .

بذلك الأمر إلى الكونستابل القـائم على حراسة المخزن للصبيين .. بالدخول !

وردد الفتيان شكرهما للمفتش قائلين :

– شكراً يا سيدي شكراً .

واستدار بيكون في طريقه إلى المنزل . وهو يردد فيما بينه وبين نفسه :

– والآن إلى مس لومي ايلزبارو !

* * *

بعد أن اقتـــادت لوسي رجال الشرطة إلى المخزن الكبير وزودتهم بوجز عما قامت به .

وانسحبت عائدة لتزاول عملها بالمطبخ ، وإن لم يدر بخلدها أن الشرطة قد انتهت من أمرها .

وكانت لوسي تعد بعض البطاطس لوجبة المساء ، حينما أخطرت بـأن المفتش بيكون يستدعيها .

وبعد أن نحت جانباً ما كان في يدها تبعت الشرطي إلى حيث كان المفتش في انتظارها .. وجلست هادئة في انتظار مـــا يوجه اليها من أسئلة !.

وأدلت اليه باسمها وبعنوانها في لندن ..

وتطوعت بقولها :

– وسأزودك ببعض الأسماء والعناوين إذا ما رغبت في معرفة الكثير عني ..

وكانت الأسماء خير مرجع لمن يشاء التحري عنها .

ووجد المفتش بيكون فيها صورة خلقية لا غبار عليهـا ، وبدأ المفتش استجوابها بقوله :

– مس إيلزبارو ! قلت أنك توجهت إلى المخزن للبحث عن وعاء للطلاء – هل هذه هي الحقيقة ؟ وقلت أنك بعد أن عثرت عـــلى ضالتك أتيت بقضيب حديدي لفتح غطاء هذا التابوت حيث وجدت الجثة ، فما الذي حدا بك إلى محاولة فتح التابوت وعم كنت تبحثين !

– كنت أبحث عن جثة .

– كنت تبحثين عن جثة ! ووجدت الجثة ! ألا ترين في قصتك هذه أنها قصة غير عادية ؟

– نعم ، وانها لكذلك ، هل لي في أن أزيدك إيضاحاً ؟

وهذا هو ما استدعيتك من أجله .. وأنـــه لمن الخير لك أن تقابلي .

وأدلت اليه بتفصيل جميع خطواتها التي أدت بها إلى اكتشاف أمر الجثة !

وراح المفتش يعيد على سمعها موجزاً لما أدلت به اليه :

– لقد عهدت اليك سيدة عجوز بتقصي الحقائق في هذه القضيـة ، وذلك عن طريق الالتحاق بعمل في هذا المنزل يسر لك سبيل البحث عن الجثة ؟ هل هذه الحقيقة ؟

– نعم .

– من عساها أن تكون هذه السيدة ؟

– مس جين مـاربل .. التي تقيم في الوقت الحاضر برقم ٤ ، طريق ماديسون

ودون المفتش العنوان والاسم وبادرها بقوله :

– هل تتوقعين مني أن أصدق قصتك هذه ؟

– ليس قبل ان تتحقق منها ، أثر لقائك بمس ماربل ، واقرارها لما سمعته مني .

– سأقوم بذلك فوراً

– ترى ماذا تعتزم أن تصارح به مس كراكنثورب عني ؟

– وفيم سؤالك هذا ؟

– أحب أن أوضح إنني قد قمت بما عهدت به إلى مس مـــاربل ، ولقد عثرت بالجثة التي كانت تصبو إلى العثور عليها ، غير انني مـا زلت مرتبطة بالعمل مع السيدة كراكنثورب لمعاونتها في شؤون هذا المنزل ، فإذا ما ذهبت وأفضيت لها بأني لم التحق بهذا العمل رغبة فيه بل لمجرد البحث عن جثة فقد تفصلني عن عملي ، وإذا لم تفعـل ذلك ، فيمكن أن أستمر في

عملي ، وأفيدها بمعاونتي التي هي بحاجة اليها في هذه الظروف التي ستضاعف من أعبائها

فحدجها المفتش بنظراته قائلاً :

– إذني ان أفضي بشيء لأحد مـا في الوقت الحاضر ، لأني لم أتحقق بعد من أقوالك .

فنهضت لوسي قائلة :

– شكراً يمكنني الآن أن أذهب إلى المطبخ لمواصلة ما كنت بسبيل انجازه .

الفصل السابع

ـ يحسن بنا أن نشرك سكوتلانديارد في هذه القضية ، اليس هذا مـا تراه ، أي بيكون ؟

وتأمل الرئيس متسائلا المفتش بيكون ، وكان المفتش رجلا قوي البنية جاد الملامح ، لا تلين له قناة .

وأجاب بيكون قائلا :

ـ إن المرأة ليست من السكان المحليين وثمة ما يدعو إلى الاعتقاد بأنها قد تكون أجنبية ، وذلك من ملابسها الداخلية . وليس من شك في انني لن أتحدث بشيء من ذلك في الوقت الحاضر ، إني أحتفظ بمعلوماتي هذه إلى ما بعد التحقيق .

وأومأ رئيس الشرطة برأسه موافقاً وهو يقول :

ـ أعتقد ان التحقيق سيكون رسمياً ؟

ـ نعم ، لقد اجتمعت بقاضي التحقيق .

ـ ومتى سيكون ذلك ؟

ـ غداً ، وفهمت ان سائر أعضاء أسرة كراكنثورب سيحضرون هذا التحقيق وثمة فرصة أن يتعرف على المجنى عليها أحد منهم لقد استدعوا جميعـاً .

وراجع القائمة التي كانت بيده ثم استطرد :

- هارولد كراكنثورب من الشخصيات البارزة في العاصمة . والفريد ، الذي لا أعرف شيئاً عن طبيعة عمله . وسيدريك الذي يقيم في الخارج رسام كما يقولون !

ونطق المفتش بالجملة الأخيرة ، في لهجة إبتسم لها رئيسه ، الذي استفسر منه :

– هل ثمة ما يدعو الى الاعتقاد بأن لأسرة كراكنثورب يداً في هذه الجريمة أو لها صلة بها !

– ليس بأكثر من أن الجثة عثر عليها في ممتلكاتهم ويحتمل أن يستطيع عضو الأسرة الفنان التعرف عليها ان الذي يضاعف من حيرتي هو هذا القصص المضطرب عن القطار .

-- نعم هل توجهت لزيارة المس ماربل ؟

– نعم يا سيدي ، وهي جد واثقة من القصة بحذافيرها ، مصرة على كل حرف فيها ومع ذلك تراني أستمع إلى الأحداث على انها رواية سيدة كبيرة في السن . غير أن الذي يبدو واضحاً ، لا شك فيه ، إنها عهدت إلى هذه الفتاة بالبحث عن جثة ما – وهذا ما قامت به الفتاة .

- وعثرت بجثة فعلا . في الواقع ، إن القصة برمتها لها طابعها المثير . ان اسم جين ماربل لا يبدو غريباً علي . ومهما يكن من أمر فإنني سأتصل بسكتلانديارد ، وأعتقد انك على حق فيما ترى من انها ليست من القضايا المحلية - وإن كنا لن نعلن عن ذلك بعد ، ويجب ان نقتصد فيما ندلي به الى الصحف .

كان التحقيق رسمياً ملتزماً بالاجراءات المعروفة ، ولم يتقدم أحد للتعرف على الجثة .

واستدعيت لوسي اللادلاء بشهادتها عن كيفية عثورها على الجثة ، كما قرر الطبيب الشرعي بأن سبب الوفاة هو أسفكسيا الخنق .

ثم قرر القاضي تأجيل الجلسة إلى ان يستجد من الأدلة ما يستوجب إعادة التحقيق .

كان يوم التحقيق يوماً شديد البرودة مكفهر الطقس

وغادرت أسرة كراكنثورب قاعة جلسة التحقيق ، الواحد تلو الآخر ، إيما وسيدريك ، وهارولد ، والفريـــد ، وبريان ابستلاي ، زوج الأخت اديث المتوفاة .

وكان هناك مستر ويمبورن ، الممثل للشركة التي تتولى شؤون الأسرة القضائية .

وقد قدم من لندن لحضور هذا التحقيق .

ووقفوا جميعاً ، على الافريز ، يرتعدون .. واجتمع النـاس من حولهم ..

وكانت الصحف ، قد نشرت قصة العثور على « جثة .. في تابوت أثري » .

وسرى الهمس بين المحتشدين

- هؤلاء هم ..

وقالت ايما محتدة :

- هيا بنا نبتعد .

وأقبلت السيارة الديملر المؤجرة ..

صعدت اليها ايما ، ثم أومأت الى لوسي ، وتبعهما كل من مستر ويمبورن وسيدريك وهارولد .

وقال بريان ابستلاي :

- سأصطحب الفريد معي في أتوبيسي الصغير .

وتأهب السائق للتحرك بالسيارة فصاحت ايما :

قف ! ها هما الصبيان !

وكانوا قد قرروا عدم اصطحاب الصبيين ، على الرغم من احتجاجهما ، إلى جلسة التحقيق

وها هما يفاجئان الأسرة ، وقد اكتسى وجهاهما بشراً وانفرجت شفتاهما عن ابتسامة عريضة .

وانبرى ستودارت وست قائلاً :

– قد حضرنا بواسطة الدراجات وقد سمحلنا بدخول قاعة التحقيق أرجو ألا يزعجك منا هذا المسلك

وكان يوجه كلامه إلى المس كراكنثورب .

غير ان سيدريك رأى ان يتولى الإجابة عن شقيقته .

فقال :

– إن الصغار عادة لا يسمح لهم بحضور التحقيق .

فتطوع الكسندر بالتعقيب قائلاً :

– قد تطورت الأحداث بصورة مذهلة مثيرة .

وهنا تدخل هارولد بقوله محتداً :

– أما لهذا الحديث من نهاية ؟ ألا ترون هـــذا الحشد وآلات التصوير الموجهة نحونا ؟

وصدع السائق بأمره ، وتحركت السيارة ، ووقف الصبيان يلوحان بيديهما مبتسمين .

وراح سيدريك يتندر بما سمعه من الكسندر مردداً :

– تطورت الأحداث بصورة مذهلة ! يا للصبية الأغرار ! إننا ما زلنا في البداية .

وأردف هارولد قائلاً .

– هذا هو سوء الحظ بأجلى معانيه . أعتقد .

وتطلع إلى مستر ويبـــورن الذي زم شفتيه ، وهز رأسه في أسى مقاطعـاً :

– أرجو ان ينقشع ما اكتنف الحادث من غموض ، وينتهي الى مـا يثلج صدورنا إن رجال الشرطة على قدر كبير من الكفاية والفراسة ، ومهما يكن من أمر ، فالموضوع بأسره من صـور الحظ العاثر على حـد قول هارولد .

وكان يتطلع الى لوسي ، وهو يتحـدث بذلك ، وكأنـه لا يقر مسلكها .

وكان لسان حاله يقول :

– فما لم تكن هذه الفتاة قد عمدت الى التدخل فيما لا يعنيها ، لما حدث شيء من ذلك .

وكان هارولد كراكنثورب هو لسانه الناطق :

– بهذه المناسبة ، اي مس – ايلزمارو ، ترى ما الذي حدا بك الى البحث في هذا التابوت بالذات ؟

وكان هذا التساؤل بديهياً . وكانت لوسي تتوقعه من الأسرة ومن الشرطة على حد سواه .

غير انها كانت في عجب ، من أن أحداً ، لم يوجه اليها هـــذا السؤال

ورأت كل من سيدريك وايمـــا ، وهارولد ، ومستر ويبورن ، يتطلعون اليها .

وكان تعقيبها صدى لما كان يتردد في وجدانها :

– وفي الواقع انني .. لست أدري . لقد شعرت بأن المكان بحاجة ماسة الى التنظيف ، والتطهير ثم كانت هناك – هذه الرائحـة

وكانت تعلق أملاً كبيراً على ما يحدثه تصريحها الأخير من رد فعل في نفس كل مستمع لها .

وسمعت ويمورن يتمم قائلاً :

ـ نعم ، نعم ، بكل تأكيد .. لقد كانت الجثة في حالة تعفن ، اذ انقضى على الحادث حوالي ثلاثة أسابيع ، كما قـــال طبيب الشرطة ، أرى انه من الخير لنا أن نبعد هـــذا الحادث عن خواطرنا . ولنضع نصب أعيننا ، أن أحداً منا ، لم يكن له أية علاقة ، بهـذه المرأة البائسة .

وهنا انبرى سيدريك قائلاً :

ـ وهل انت واثق من ذلك ؟

وتأملته لوسي ايلزبارو في اهتمام باد .

وكانت في حيرة من أمرها ، بسبب هذا الاختلاف البين الملموس ، بين الاخوة الثلاثة .

فقد كان سيدريك رجلاً طويل القامة ، عريض المنكبين ، لفحت الشمس بشرته ، كث الشعر مرحاً طروباً .

وكان قد قدم من المطار بثياب السفر . وكان يرتدي منها ما بدا به بوهيمي الطلعة .

أما أخوه هارولد ، فكان على العكس منه ، الصورة الصحيحة لسيد العاصمة المهذب ، والمدير المحترم لأكثر من شركة . وكان مديد القامة ، مهيب الطلعة ، حسن الهنـدام ، ينم مظهره عن انه رجـل الأعمال الناجح الفطن .

ودار الحديث حول المخزن ، ومفتاحه المودع بين أوراق الابلاب ، والظروف المحتملة ، حسبما يرى كل منهم ، التي أدت الى إيداع الجثـة

التابوت الأثري .

ويبدا مما اشتركت به ايما من حديث أنها قلقة ، شاردة الفكر ساهمة النظرات .

ورمقها سيدريك بنظرة خاطفة متسائلا :

– انك قلقة ماذا دهاك !

وانبرى هارولد يعترض محنقاً .

– وفيم سؤالك ، ان ما حدث ..

– ان ما حدث من العثور على جثة فتاة قتيل في المخزن الكبير بروذرفورد هول ، حادث غير هين .. هذا ما كنت بسبيل قوله ، واني لا سيم بأنه كان لهذا الحادث وقعه الشديد على ايما . ولكننا نعرف عن ايما انها فتاة عاقلة ..

ولست أرى سبباً يدعو بهذا القلق وشرود الذهن من جانبها ، بعد أن لم يعد في الأمر مفاجأة .

فأردف هارولد قائلا في لهجة قاطمة :

– ان القتل ليس بالأمر الهين . وان تفاجأ بجسم الجريمة من الأمور غير المألوفة . دعنا من آرائك التي تأثرت باقامتك في الخارج . اننا هنا في انجلترا حيث نأخذ الأمور بعمق وجد .

ثم إنني لا أقر حضورك التحقيق ، بمثل هذه الثياب ، التي لا تتفق و ..

– لا تتفق وماذا ؟ انها ثياب مريحة .

- انها غير لائقة .

– مهما يكن من أمر ، فإنني لم أحمل معي سواها ، اذ لم يكن متسع من الوقت لإعداد حقيبة ملابسي ، انني فنان والفنانون يؤثرون مثل هذه الثياب المريحة .

– أما زلت تحاول الرسم ؟

– هارولد ! ماذا تعني بقولك أحاول

وعندئذ .. انبرى مستر ويبرون قائلاً ، ليضع حداً ، لهذه المناقشة :

– هذه المناقشة غير مجدية . عزيزتي ايما ، أرجو أن تصارحيني بما تريدينه مني قبل سفري .

فأجابته ايما :

– شكراً ، واني لمقدرة لك اسراعك بالحضور .

– لا داعي لشكري . لقد كان من الضروري حضوري لمتابعة التحقيق وما يسفر عنه . ولقد دبرت لقاء بيني وبين المفتش بالمنزل ، وليس لدي أي شك في ان الموقف سينجلي قريباً .. على الرغم مما يكتنفه من غموض .

ثم انني اعتقد ان المشكلة ليست مستعصية الحل ، فلماذا لا يكون هذا المخزن مكاناً للقاء بين العاشقين المحبين ، ممن يعرفون ان المفتاح موجود بين أوراق اللبلاب .

ويرجح به قد وقع شجار بين الطرفين تطور الى هذه النتيجة المؤسفة ، فلما وجد الجاني نفسه أمام نتيجة تهوره ، ووقعت عيناه على التابوت أثناء ما استبد به من حيرة ، خطر له انه خير مكان يخفي فيه نتيجة فعلته .

وانبرى سيدريك معقباً :

– قلت انهما عاشقان محليان ، ولكن أنسيت ان أحداً ما لم يستطع التعرف على الجثة .

– صبراً .. قد يستجد ما ليس في الحسبان .. ولم لا تقول ان

الرجل من هذه الناحية .. وان المجني عليها ، من غير أهالي هذه الناحية ؟

- اذا ما كانت فتاة قدمت للاجتماع بفتاها ، لما رضيت بهذا المخزن القذر مكاناً للقاء ، اليس كذلك يا مس ايلزبارو ؟

فتذمر هارولد قائلا :

- أمن الضرورة لمثل هذا الحديث ، ولمثل هذه التكهنات ؟

وكانت السيارة قد توقفت ، في هذه اللحظة ، أمام الباب الرئيسي لروذفورد هول ، فغادرها جميع من كانوا بها .

الفصل الثامن

ووجد مستر ويبورن ، عند دخوله غرفة المكتب ، أن المفتش بيكون لم يكن بمفرده ، بل كان في صحبته رجل ممشوق القد ، حسن الطلعة ، قدمه اليه قائلا:

– مفتش المباحث كرادوك من نيو سكتلنديارد .

- نيو سكتلنديارد ، هيه !

وبما عرف عن درموت كرادوك من دماثة خلق انبرى قائلا ليجلو ما اضطرب به ذهن ويبورن :

– قد عهد الينا بأمر هذه القضية . وبما انك تمثل أسرة كرانكثورب ، أرى انه من حقك ان تحاط علماً ببعض المعلومات التي لها أهميتها وأن نكشف لك عنها بالرغم من سريتها .

وكان المفتش كرادوك موفقاً في عرض ما لديه من معلومات عرضاً يوحي الى المستمع بأنها الحقيقة كاملة

وبعد أن فرغ من سرد ما لديه ..

تطلع الى زميله قائلا :

– واني واثق من ان المفتش بيكون موافق على هذا .

وكانت موافقة المفتش بيكون موافقة شاملة لا ريب فيها ، ثم استطرد

كرادوك قائلا :

– إذن ، فتلكم هي حقيقة الموضوع، فبناء على ما اجتمع لدينا من الأدلة انتهينا الى الرأي بأن المجني عليها ليست من بين الأهالي المحليين ، ولا من المواطنين الانجليز .

وإنها كانت في طريقها الى هذه الأنحاء من لنـــدن عقب قدومها من الخارج حديثا .

ويحتمل انها كانت قادمة من فرنسا ، وإن كنا غير واثقين من هـذا كل الثقة .

فقطب مستر ويبورن جبينه متسائلا :

– حقا ؟ أجنبية على الأرجح .

وقال المفتش بيكون معقباً :

– هذا هو مربط الفرس من القضية . إن سكتلنديارد لديها من الامكانيات ما ييسر لها سبيل التحري ، وتقصي الحقيقة .. وهـــذا ما دعانا إلى الاستعانة بها .

– إن كل ما نرجوه ونرجوه الأسرة التي أمثلها أن تحل هذه القضيـة سريعاً . ان هذه القضية ، بوضعها الراهن ، مصدر إزعاج للأسرة .. وإن لم يكن لهم بها ..

وأردف المفتش كرادوك يستكمل ما كان مستر ويبورن بسبيل الانطلاق فيه من حديث :

– وان لم يكن بها صلة شخصية ، انهم على حق ، فحسبهم من هذه القضية ان جثة المجني عليها قد عثر عليها في ممتلكاتهم . والآن ، أريـد أن التقي بأعضاء الأسرة .

– ولكني لا أرى ..

– ألا ترى اني سأتوصل الى جديد من لقائي بهم قد تكون مصيبـا ،

ولكن من يدري؟ أما عما أبغيه من معلومات عن هذا البيت وعن هذه الأسرة فيمكن ان أستقبلها منك .

– وما هي علاقة كل هذا بامرأة مجهولة قدمت من الخارج ، لتقتل في هذا المكان ؟

– من هنا تبدو أهمية ما أسعى اليه . ما الذي أتى بها الى هنا ؟ هل كان لها علاقة سابقة بهذا المنزل ؟ ألم يتصادف انها قامت بعمل ما في هذا البيت وصيفة شرف مثلا . أم تراها قد اتت الى هذا المكان للقاء ساكن سابق لرودرفورد هول ؟

وعقب مستر ويبورن قائلا :

– ان رودرفورد هول لم تشغل بغير أفراد أسرة كراكنثورب منذ قام رب الأسرة الأول ببناء هذا القصر في عام ١٨٨٤

وسأله كرادوك ان يوافيه بنبذة عن تاريخ الأسرة .

فرد ويبورن فوراً وقال :

– ليس ثمة الكثير مما يقال فقد كان مؤسس الأسرة صاحب مصنع للحلوى والبسكويت ، وما الى ذلك . وقد جمع من عمله هذا ثروة طائلة ، وهو الذي قام بتشييد هذا القصر ، الذي يقيم الآن به ابنه الأكبر لوثر كراكنثورب .

ألا يوجد للرجل أولاد سواه ؟

– كان له ولد آخر ، يدعى هنري ، قتل في حادث سيارة سنة ١٩١١ .

– ألم يفكر كراكنثورب الابن في بيع هذا البيت ؟

– انه لا يملك ذلك ، بناء على نص وصية والده .

– هل لي ان ألم بنصوص هذه الوصية ؟

– وما هو الداعي ؟

في وسعي الاطلاع على نص الوصية في سومرست هاوس .

وانفرجت شفتا ويبورن عن ابتسامة مقتضبة قائلا :

– فليكن ، ومع ذلك فإنني أرى أن هذه المعلومات لا علاقة لهـــا بقضيتنا ، إن وصية الأب لا تتضمن أسراراً .

لقد خلف ثروة طائلة ، أوصى بدخلها لأبيه اوثر مدى الحياة ، على أن توزع الثروة بعد وفاته بين أبنائه بالتساوي – ادموند ، وسيدريك ، وهارولد ، والفريد ، وإيما واديث .

وقد قتل ادموند أبان الحروب ، وتوفيت أديث منذ أربع سنوات ، ولذلك ستوزع الثروة بعد وفاة اوثر كراكنثورب بين سيدريك ، وهارولد ، والفريد ، وإيما والكسندر ايستلاي ابن أديث .

– والقصر ؟

– يؤول إلى أكبر أبناء اوثر كراكنثورب الباقين على قيــد الحياة ، أو إلى ذريته .

– وهل كان إدموند كراكنثورب متزوجاً ؟

– كلا .

– وهكذا يؤول القصر إلى ؟

– إلى الابن الثاني . .

– سيدريك !

– ألا يستطيع مستر اوثر كراكنثورب التخلي عن القصر ؟

– كلا . .

– أو ليس له حق السيطرة على رأس المال ؟

– كلا . .

– الست ترى معي ما في هذه الوصية من شذوذ ! يبدو لي أن كراكنثورب الأب لم يكن يحب ولده

- بلى . هذه هي الحقيقة ، لقد خيب الابن أمل الأب في عزوفه عن العمل ، فقد دأب اوثر على السفر إلى الخارج ، وجمع ما حلا له من عاديات وقطع فنية . ولم يرق هذا للأب الذي أوصى بثروته للجيل الثاني ، كما سبق أن بينت لك .

ولكنني لا أرى مع ذلك ، علاقة بتلك القضية - بمقتل امرأة مجهولة من أصل أجنبي لم يتعرف عليها أحد !

- هذا ما يبدو فعلا .. ان كل ما أردته ، أن ألم بجميع الحقائق والتفصيلات .

وبعد أن حدجه مستر ويبورن بنظرة فاحصة ، وكأنه غير مقتنع بما سمع ..

نهض قائلا :

- أزمع السفر إلى لندن فوراً ، ما لم يكن ثمة ما تريدان معرفته علاوة على ما سبق .

وراح يتنقل بعينيه من رجل إلى آخر .

فقال :

- كلا .. شكراً يا سيدي !

وفي البهو ، قال المفتش كرادوك ، متحرياً أن يرفع عقيرته لكي يسمعه الجميع :

- سندع الأسرة تتناول طعام الغداء في هدوء ، وسنعود بعد ذلك ، وليكن في الساعة ١٥ ٢ ، لنجتمع بأفراد الأسرة

- هل ترى ضرورة لهذا ؟

- إنه إجراء تكميلي ، فقد يصدر عن أحدهم ما ينير لنا سبيل الاهتداء إلى شخصية الجنى عليها .

- أشك في احتمال ذلك ، بل واستبعده ، وإن كنت أرجو لك التوفيق ،

وكما سبق أن قلت لك ، إن في الاسراع في إماطة اللثام عن سر هذه القضية الخير للجميع .

* * *

كانت لوسي قد عادت رأساً الى المطبخ ، لتقوم باعداد طعام الغداء ، وبعد قليل أقبل بريان ايستلاي يسألها :

— هل يمكن أن أقوم بمعاونتك في شيء ؟

وردت اليه لوسي بعينين شاكرتين له عرضه .

وكان بريان قد ذهب إلى جلسة التحقيق رأساً في سيارته الصغيرة ، مما لم يدع لها متسعاً من الوقت للتعرف عليه .

ورأت فيه رجلاً قد تجاوز الثلاثين بقليل ، حسن المظهر محبب الطلعة ، كستنائي الشعر أزرق العينين ، كث الشاربين

ودلف إلى المطبخ قائلاً ، وهو يتخذ له مجلساً فوق طرف المائدة :

— لم يعد الصبيان بعد ، لن تستغرق عودتهما أقل من عشرين دقيقة .

— يبدو انهما كانا قد عقدا العزم على حضور جلسة التحقيق .

— انه التحقيق الأول في حياتهما !

فقال بريان .

— وفي الأسرة !

— هل تسمح بترك المائدة .. لأني أريد أن أضع فوقها بعض المواد .

— سمعاً وطاعة ، هل سننعم بقائمة حافلة !

نعم ، إذا ما كنت تعتزم المعاونة حقاً ، فإليك هذا البطـــاطس لاعداده فوراً ..

وصدع بريان بما أمرته به .

وكانت لا تفتأ تتابع ما يفعله وتوجه اليه إرشاداتها .

وراحا يتجاذبان أطراف الحديث عن الوان الطعام المختلفة وكيفيـة إعدادها .

إلى أن سألته :

– هل تقيم في لندن ؟

– نعم ، بوسيلة أو بأخرى

غير أن لوسي تبينت من نبرات صوته ما أثار فضولها ..

وراحت تتأمله لتدرك أنه أكبر سناً مما بدا به لأول وهلة ، أنه يقارب الأربعين ، وانه ليعيد اليها ذكرى العديد من الطيارين الذين تعرفت بهم أبان الحرب حينما كانت في سن الرابعة عشرة .

لقد نشأت وشبت عن الطوق في عالم ما بعد الحرب – أما بريان فقد اعترضت هذه الفترة منتصف عمره .

وقد ثبت لديها هذا الخاطر بما تحدث به اليها ، بعد أن اتخذ له مجلساً متكئاً إلى المائدة بمرفقه وهو يقول :

– انه لعالم قاس ، يواجه المرء أحياناً بحياة كلها مشقة وعناء .

واستعادت لوسي في ذهنها ما سمعته عنه من إيما من قبل في مناسبة ما ، فقالت له :

– لقد كنت قائداً لاحدى الطائرات المقاتلة ، ولقد حصلت على أحـد الأوسمة الرفيعة !

– ومن هنا مصدر متاعبي ، إن الحصول على وسام يحمل الناس على تقدير حامله ومحاولة تيسير الامور له ، هذه الاعمال أعمال مكتنبية بحتـــة مما لا

تروق لي أو أتقن منها شيئاً ، انني لم أخلق للجلوس الى خوان ، وأكب على تدوين الارقام وحسابها ، إن لي آرائي الخاصة ، ونظرياتي العمليـــة ، التي تتطلب المال والمساندة ، وهما ما افتقدهما ، آه لو تحقـق لي بعض رأس المال .

وبعد أن توقف قليلاً شارد الذهن ..

استطرد قائلاً :

– لم يسبق لك التعرف الى ايدي ؟ زوجتي ! كلا ، بكل تأكيد ، لقــد كانت تختلف عنهم جميعاً ، وكانت أصغرهم سناً ، وكانت تعمــل في القوات الجوية ، وكانت تقول عن والدها انه شحيح بخيل ، مع العلم بأن ثروته كانت ستوزع بين أبنائه بعد وفاته

وكان من حقه أن ينفق الدخل جميعه في الاعوام المتبقية له من حياته ، فيسعد به ويسعد من حوله .

وسينتقل نصيب ايدي الى ولدها الكسندر الذي لن يملك التصرف فيه قبل أن يبلغ الواحد والعشرين من عمره .

وحينئذ أقبل كل من الكسندر وستودارت وست لاهثي الانفـاس ، منهوكي القوى .

وأقبل الكسندر على والده يحييه في شوق ، ثم راح يستفسر من لوسي عن الوان الطعام .

وبعد أن استمع راضياً عما أعدته لوجبة الغذاء ، سألت ثلاثتهم أن يحملوا معها صحاف الطعام الى المائدة ؟

فانبرى الكسندر قائلاً :

– يوجد هنا ، مفتش من سكتلنديارد .. ترى هـل سيتنـاول الغذاء معنا ؟

– المرجع في هذا الى خالتك !

- أعتقد ان الخالة ايما سترحب بذلك ، انها كريمة مضيافة ، وإن كنت أعتقد أن الخال هارولد ان يرحب بهذا ، ان هذه الجريمة تقلق خالي وتقض مضجعه ، كان مستر ويمبورن مجتمعاً برجال الشرطة ، وان كان لن يتخلف عن تناول طعام الغذاء ، اذ سمعته يقول انه عائد الى لندن فوراً .

وكان مستر ويمبورن واقفاً بالبهو يرتدي معطفه ويثبت قفازيه ، حينما هبطت ايما الدرج مسرعة وهي تقول :

- الن تبقى معنا لتناول طعام الغذاء ؟ لقد أعدت المائدة فعلاً !

- كلا ، لانني مرتبط بموعد هام في لندن ، ويوجد بالقطار عربة أكل .

- شكراً لمجيئك وحضورك التحقيق معنا .

وعندئذ خرج من غرفة المكتب مفتشا الشرطة ، وتناول مستر ويمبورن يد إيما بين يديه قائلاً :

- لا يوجد ما يستدعي قلقك ، أقدم اليك مفتش المباحث كرادوك القادم من سكتلنديارد ، التي اضطلعت بأمره هذه القضية وعهدت اليه بها ، وسيعود أدراجه في الساعة ١٥ : ٢ لاستجوابكم ، وكما قلت لك ، ليس ثمة ما يستوجب القلق .

ثم التفت الى كرادوك مستطرداً :

- هل لي أن أعيد ، على سمع السيدة كراكنثورب ما تكلمت به الي ؟

فقال المفتش كرادوك :

- بكل تأكيد .

- علمت من المفتش كرادوك أنه واثق من أن هـذه الجريمة ليست من الجرائم المحلية ، فهو يرى أن المجنى عليها كانت قادمة من لندن وانها ، على الارجح ، أجنبية عن البلاد .

فأطرقت ايما قليلا وقالت :

ـ أجنبية هل هي فرنسية

وأخـذ مستر ويبورن بسؤال ايما وبما ظهر على وجهها من ملامح الانفعال .

وراح دير موت كرادوك ، يجيل عينيه بين وجهي مستر ويبورن ومس ايما .

وتساءل الرجل عن السبب الذي حملها على استنتاج أن المرأة القتيل ، كانت فرنسية وعن السر فيما ظهر عليها من خلجات الانزعاج .

الفصل التاسع

لم يطرق أحد من الجالسين إلى مائدة الغداء ، طعام لومي الجيد ، غـير الصبيين وسيدريك كراكنثورب ، الذي كان يبدو غير متأثر بهذه الظروف التي استوجبت عودته إلى انجلترا .

وكان يبدو مستخفاً بكلما جرى ، وما يجري من حوله ، وكأنه قد دعي لمشاهدة مسرحية ضاحكة .

وعلى العكس من هذا ، كان موقف أخيه هارولد ، الذي رأى في هـذه القضية إهانة شخصية لأسرة كراكنثورب ، مما أفقده شهيته وأثار حنقه .

وبدت إيما قلقة ، تعسة ، صرفتها خواطرها عن أن تنعم بغذائها .

أما الفريد ، فكان في متاهة من أفكاره الخاصة عازفـاً عن الكلام ، وعن الطعام

وعـــاد مفتشا الشرطة بعد ساعة الغداء واقتربا من السيد سيدريك كراكنثورب في أدب يسألانه الانفراد به قليلاً .

وكان المفتش كرادوك ، كما عرف عنه دائماً ، بشوشاً ودوداً .

- تفضل بالجلوس .. مستر كراكنثورب ، أنت عائد من الخـارج ، فيما أعلم ؟

- عائد من أفيزا حيث كنت أقيم طوال ستة أعوام ، ان الجو

هناك يلائمني .

– هناك الشمس الساطعة والطقس الدافىء ، لقد عدت إلى انجلترا للاشتراك في عيد الميلاد ، اليس كذلك ، فما الذي استوجب عودتك ولما تنقض غير فترة قصيرة ؟

– كان حضوري في هذه المرة بناء على برقية من إيما – شقيقتي ، إن هذا الحادث يعد الأول من نوعه في تاريخ أسرتنا ، ولما كنت أريد أن أتابع كل التطورات ، فقد رأيت أن أسرع بالحضور .

– هل لك هواية بما هو جنائي الطابع ؟

– يمكن أن يكون الوضع قريباً من ذلك ، على أنها هواية بعيدة عن كل تعمق وفراسة ، أقرب إلى السطحية منها إلى أي شيء آخر ، علاوة على انني أردت أن أكون إلى جانب إيما – التي أعرف كثرة ما تضطلع به من أعباء وتبعات .

فسأله المفتش :

– بمعنى آخر ، إنك استجبت إلى غريزتك وإلى مشاعرك العائلية في آن واحد .. وليس من شك ، في أن شقيقتك سوف تقدر لك شعورك – وإن كان الشقيقان الآخران .. قد أسرعا إلى جانبها بدورهما .

فرد سيدريك :

– ولكنهما لن يكونا سبب راحة ومسرة لها . إن هارولد في حالة لا تسر ، إن كبار رجال الأعمال في المدن لا يحبون أن يقترن اسمهم بقتل سيدة يكتنف الغموض شخصيتها .

– وهل هذا صحيح ؟

– لعلك أكثر دراية مني بذلك . هذا ما يبدو لتتبعك الوقائع ..

– كنت أعتقد أنه قد يكون في وسعك أن تكشف لنا عما غمض

واستغلق علينا فهمه ؟

فرد سيدريك :

– ألم يخبروك بأنني لم أستطع التعرف عليها ؟

– لم اسألك عن هذا على وجه التحديد ، إن كنت أرجوه أن تعيننا على الاقتراب من حل هذا اللغز بترجيحك من عساها أن تكون تعميماً وليس تخصيصاً ؟

– ليس لدي أي فكرة عن شخصيتها ، لعلك تفترض أنها كانت على موعد مع أحدنا في المخزن الكبير ؟ غير أن أحداً لا يقيم هنا – فيما عدا الرجل العجوز وشقيقي ، ولا أظنك تعتقد أنها اقبلت إلى هنا بناء على الموعد مع الوالد المحترم ؟

– إن وجهة نظرنا تقضي – وفي هذا يتفق المفتش بيكون معي – بأن لتلك المرأة علاقة ما بهذا القصر ، بوسيلة أو بأخرى ، وقد يكون هذا منذ عدة أعوام ، أرجو أن تعود بذهنك إلى الماضي

وبعد أن استغرق سيدريك في التفكير قليلا .. هز رأسه نفياً وهو يقول :

– لا أذكر شيئاً من هذا القبيل ، ولعل الأجدى أن تسأل الآخرين عن ذلك ، ربما عرف أحدهم أكثر مما أعرف .

– هذا هو عين ما سنقوم به ، بكل تأكيد .

وبعد أن اعتدل كرادوك في المقعد .

استطرد :

– بناء على ما سمعته في التحقيق ، لم يستطع الطبيب الشرعي أن يحدد وقت الوفاة بصفة قاطعة . .

فقد قرر بأنها وقعت بين أسبوعين وأربعة أسابيع – الأمر الذي يرجع بالوفاة إلى أيام عيد الميلاد تقريباً .

وسبق أن علمت منك بأنك كنت هنا في عيد الميلاد ، فمتى وصلت إلى إنجلترا . ورحلت عنها .

فأجابه .

– متى كان وصولي .. لقد جئت عن طريق الجو ، ووصلت يوم السبت السابق لعيد الميلاد يوم ٢١ ديسمبر .

– هل وصلت رأساً من ماجوركا ؟

– نعم .. تركتها في الخامسة صباحاً ، ووصلت أرض الوطن في منتصف النهار .

– وعدت ؟

– وعدت في يوم الجمعة التالي ، أي إنني غادرت البلاد في السابع والعشرين من ديسمبر .

– شكراً !

وابتسم سيدريك قائلاً :

– وهذا يجعلني في دائرة الشك ، لسوء الحظ ، غير انني أحب أن أؤكد لك ، يا سيدي المفتش ، أن قتل النساء خنقاً ليس بهوايتي المحببة في أعياد الميلاد .

– أرجو أن يتحقق هذا ، لقد انتهينا من استجوابك .

وسأل كرادوك زميله بيكون ، بعد أن غادر سيدريك الغرفة ، وأوصد الباب :

– فما رأيك فيه ؟

– انه لا يتورع عن فعل أي شيء ، ان هذا الطراز من الفنانين ، لا يستبعد منه أن يتصل بهاته القسوة من سيئات السمعة ..

انني لا أثق بهم ، ولعلك تشاركني حكمي من أسلوب لبسه ، ان الرجل الذي يحترم نفسه لا يحضر جلسة تحقيق بمثل هذه الثياب ، واذا سألتني

رأيي بصراحة ، لقلت لك أنه من هذا الطراز الذي يقوم بقتل المرأة ، ثم يمضي لا يلوي على شيء

– ولكنه لم يرتكب هذه الجريمة – اذا ما تحقق ما يدعيه من أنه لم يغادر مساجوركا قبل ٢١ ديسمبر .. وهذا أمر يمكن التحقق منه بسهولة .

فرمقه بنظرة حادة ..

ثم قال :

– ألاحظ أنك لم تضع يدك بعد على تاريخ ارتكاب الجريمة بصفة قاطعة .

– كلا .. ولندع هذا مؤقتاً ، وأحب دائماً أن أحتفظ ببعض البيانات للحظة المناسبة .. ولنر الآن ماذا يقول – السيد المهذب القادم من العاصمة .

ولم يكن لدى هارولد كراكنثورب الكثير مما يدلي به ..

وكان شديد الامتعاض مما حدث – ويرى فيه عرضاً سيئاً ، وظاهرة للحظ السيء .

وقد نشطت الصحف المحلية فبعث بمندوبيها يتحرون ويستقون الأنباء ..

وكل هذا وغيره .. مما يؤسف له حقاً .

وبعد أن عرض هارولد وجهة نظره ، اضطجع في المقعد وقد بدت على وجهه ما تختلج به نفسه من انفعال واشمئزاز .

ولم تسفر محاولات المفتش عن شيء . فلم يكن لديه أية فكرة عمن عساها أن تكون المجنى عليها

نعم لقد حضر عيد الميلاد في روذرفورد هول .

ولم يتيسر له الحضور قبل ليلة عيد الميلاد ، وإن كان قد تخلف الى نهاية

الأسبوع .

وبعد أن أيقن المفتش كرادوك بأنه لا جدوى من مواصلة مناقشة هارولد تحول عنه الى الفريد . .

الذي أقبل مستهيناً غير مبال .

وتأمله كرادوك ، وكأنه يريد أن يستعيد في ذهنه أين التقى به قبل الآن .. ان هذا الوجه ، مألوف لديه .

واستفسر من الفريد عما يزاوله من عمل . .

غير أن اجابته كانت غامضة :

– انني أعمل بالتأمين في الوقت الحاضر ، وكنت أشتغل قبل الآن كمندوب توزيع لجهاز ناطق جديد ، وهو جهاز حديث مبتكر ، وفقت في توزيعه ايما توفيق .

وأطرق المفتش كرادوك قليلا ، محاولاً أن يوفق بين هذا النجاح وبين الحلة الزهيدة الثمن التي يلبسها الفريد . وبعد برهة قصيرة ، استأنف كرادوك توجيه أسئلته المعهودة .

وبدا له مما أفاض به الفريد في الرد على اجابته انه يجد في الموضوع مصدر تسلية :

– إنها نظرية لا بأس بها – احتمال قيام المرأة بعمل ما هنا ، لا كوصيفة شرف ، لأن شقيقتي لم تعد هذا ، ولا أظن أن هذه الوظيفة من عادة أيامنا هذه

وقد تكون ممن الحقن بالخدمة المنزلية ، لقد التحقت بالعمل هنا بولنديات والمانيات .

وحيث ان ايما لم تتعرف على المرأة ، فمن المتعين استبعاد هذا الاحتمال ، ان لايما ذاكرة حادة ، كلا ، فإذا ما كانت المرأة قادمة من لندن ، بالمناسبة ترى من أين لك هذه النظرية ؟

فابتسم كرادوك ولم يعقب بشيء .

وتأمله ألفريد ثم قال :

– ألا تحب أن تصارحني ؟ لعلك عثرت على تذكرة عودة بجيب معطفها ؟

– حسناً ، فلنسلم بأنها كانت قادمة من لندن ، ربما رأى من قدمت للقائه في المخزن الكبير انه أصلح مكان لارتكاب جريمة قتل ، وليس من شك في أن هذا الرجل يعرف هذه الأنحاء خير المعرفة ، هذا ما يجب أن يقوم عليه بحثك عنه ، يا سيدي المفتش .

– وهذا هو أساس بحثنا فعلاً .

وقد حرص المفتش كرادوك على التفوه بهذه الجملة ، تفوه الواثق مما يجب عليه عمله . وشكر لألفريد معاونته ، وأعلمه بانتهاء الاستجواب

وقال كرادوك لزميله بيكون بعد انصرافه :

– لقد رأيت هذا الشاب في مكان ما قبل الآن .

– لعله عميل قديم ، هذا ما يظهر من رباطة جأشه واجابته

* * *

– أظن انك لا تريد مني شيئاً ؟ لأنني لست من أعضاء الأسرة .

بهذا اعتذر بريان ايستلاي لرجال الشرطة ، وهو يقف متردداً بباب الغرفة ..

فأجابه المفتش كرادوك :

مستر بريان ايستلاي ، فيما أعتقد ؟ زوج مس أديث كراكنثورب ، التي توفيت منذ أربعة أعوام ؟

– أجل يا سيدي المفتش .
– حسناً ، ترى ألديك ما يفيد التحقيق ؟

– كلا ، ليتني أستطيع شيئاً من هذا القبيل . إن القضية بأسرها تبدو شاذة غير عادية . إن قدوم إمرأة من مكان بعيد لتلتقي برجل في هذا المخزن المهجور الرطب في فصل الشتاء مما يحار الفكر فيه .
– نعم ، نعم ، إنه شيء يدعو للحيرة فعلاً .
– هل صحيح إنها أجنبية ؟. لقد سمعتهم يرددون هذا القول .
– ألا توحي لك هذه الحقيقة بشيء ؟

– كلا ، كلا ، انها في الواقع لا توحي إلي بشيء .
– يقال انها ربما كانت فرنسية ؟
وكان لهذا السؤال الايحائي وقعه في نفس بريان ، الذي ومضت عيناه بما ينم عن خلجات نفسه ، قبل ان يقول :

– حقاً ؟ فرنسية ، من عاصمة المرح والسرور ، لا تجد خيراً من مخزن التوابيت ، مكاناً للقـــاء ؟ لعل هذا هو الحادث الأول ، من نوعه ؟
– ألا تعرف أن لأحد من أعضاء الأسرة اتصالات فرنسية أو – أو – كانت له علاقة .
وبادر بريان يجيب بأن آل كراكنثورب قوم أبعد ما يكونون عن علاقات المرح والحبور ثم أردف قائلاً .

– إن هارولد متزوج سيدة من أسرة كريمة . ولا أعتقد ان الفريد يعنى بالنساء كثيراً ، انه يقضي حياته في عقد الصفقات الغامضة التي تنتهي عادة نهاية سيئة . أما سيدريك فقانع بهاته الأسبانيات اللاتي يحطن به في ايفيزا ، وهذا كل ما لدي من المعلومات .
وابتسم مستطرداً :

ـ أنصح بأن تمهد الى الكسندر بما ترى ليتقصى الحقائق ، انه يحاول بالاشتراك مع جيمس ستودارت وست أن يوفقا الى دليل ما . وأظن انهما سيوفقان إلى شيء .

وعقب المفتش كرادوك بقوله انه يرجو لهما التوفيق . ثم شكر لبريان ابستلاي معاونته ، وقال انه يود لو أتيحت له فرصة استجواب المس ايما كراكنثورب .

* * *

تطلع المفتش كرادوك الى ايما كراكنثورب طويلا . فلم يزل يذكر ما كان منها ، ومـا بدت به تقاطيع وجهها ، حين التقى بها قبل الغداء .

قد كانت فتاة هادئة . ولم تكن بالخارقة الذكاء ولا بالبالغة الغباء . إنها كانت من هاته النساء اللاتي يجد الرجـل فيهن خير زوجة يرتاح لها ، وتجعل من بيته جنـة يسكن فيها ، ويجد في بيته عش الأسرة السعيدة .

إن هذا الطراز من النساء غالباً ما يغمط قدرهن ، ولا ينلن في الحياة ما هن جديرات به من تقدير . وكان كرادوك يأمل في ان تزوده هذه الفتاة بالدليل الذي يجلو به غموض سر قتيل التابوت .

وبينما كان يدور هذا بخلده ، كان كرادوك يوجه اليها القليل من الأسئلة غير الهامة :

ـ أظن ان ثمة القليل مما يمكن ان تدلي به من المعلومات علاوة على ما سبق ان أدليت به للمفتش بيكون ، ولذلك لن أوجه اليك الكثير من أسئلة . الى ما شئت من أسئلة .

-- أرجو ان توجه

— كما علمت من المستر ويبورن ، لقد انتهينا إلى الرأي بأن المجني عليها لم تكن من المواطنين وقد يكون في هذه النتيجة ما يسري عنك قليلاً ، وإن ضاعفت تعقيد المسألة بالنسبة لنا ، لأن التعرف عليها سيكون أكثر صعوبة .

— ألم يوجد مع المجني عليها ما ييسر لكم سبيل هذا ؟ حقيبة يد ؟ أوراق ؟

— كلا . لم نعثر على شيء من هذا أبداً .

— اليست لديكم أية فكرة عن اسمها . وعن وطنهـا ، وعن أي شيء من هذا القبيل ؟

وجال في خاطر كرادوك :

— إنها تريد أن تعرف ، انها جد متلهفة لتعرف ، من عساها ان تكون هذه المرأة وإني لأتساءل عما اذا كان هذا هو شعورها منذ البداية ؟ انبيكون لم يحدثني عن شعورها هذا — وهذا الرجل الذكي ..

-- اننا لا نعرف شيئا عنها . ولقد كنا نرجو ان يدلنا أحد منكم عما يميط اللثام عن هذا السر . هل انت واثقة انك لا تستطيعين ذلك ؟ وعلى فرض انك لم تتعرفي عليها ، ألا تستطيعين ان ترجحي شيئاً يعيننا على الإمســاك بطرف الخيط ؟

وترددت قليلا قبل ان تجيب :

-- حينما أخبرك المستر ويبورن بأن المجني عليها كانت أجنبية فما هو السبب الذي دعاك لافتراض انها فرنسية ؟

— أوصدر هذا عني حقا ؟ نعم ، أعتقد اني فعلت هذا ، وفي الحق ، اني لست أدري السبب الذي دعاني الى ذلك : اللهم اننا نتجه دائما الى افتراض ان الأجانب فرنسيون الى ان يثبت العكس . ان معظم الأجانب في بلادنا

هم فرنسيون اليس كذلك ؟

– ليس في هذه الأيام . إن البلاد تعج بالأجانب من مختلف الجنسيات .

– نعم ، انك مصيب في هذا الرأي .

– اليس ثمة ما يدعو الى الاعتقاد بأن هذه المرأة فرنسية ؟

ولم تسرع بنفي هذا ، وأطرقت تستعرض الأمر قبل ان تجيب آسفة :

– كلا ، ليس ثمة ما يبرر هذا حقاً .

وتطلع كرادوك الى المفتش بيكون ، الذي تقدم منها عارضاً عليها علبة البودرة السابق العثور عليها بين الأعشاب :

– مس كراكنثورب ، أتعرفين شيئاً عن هذه العلبة ؟

فتناولتها وتفرست فيها قليلا ثم قالت :

– كلا ، وأنا واثقة انها ليست لي .

– ألا تعرفين لمن عساها ان تكون ؟

– كلا .

– اذن ، فلست داعيـــاً لمضايقتك بعد ذلك ، على الأقل في الوقت الحاضر .

– شكراً .

ونهضت مبتسمة ، ثم غادرت الغرفـــة ، وتبين كرادوك انها كانت تسرع في خطواتهـــا ، وكأنها تتجنب بهذا توجيه أسئلة أخرى اليها . وسأله بيكون :

– ترى ، هل تعرف شيئاً ؟

– إننا نميل دائماً ، في إحدى مراحل التحقيق الى الاعتقاد بأن الناس يعرفون أكثر مما يدلون به .

– هذا هو سلوكهم عادة ، وان كنت أرى انه لا ينطبق في حالتنا هذه . اننا أمام أسرة تخشى أن يقحم باسم عضو من أعضائها في هذه القضية أو في

هذه الفضيحة .

– نعم ، أعرف هذا . على الأقل ..

وقطع المفتش كرادوك جملته . اذ ان الباب قد فتح فجأة ووجه المستر كراكنثورب الشيخ غاضباً وهو يقول :

– يا للمأساة ! أن يبلغ الأمر حد تدخل سكتلنديارد ، وان يتجاهل رجالها رب الأسرة وما تقتضيه قواعد السلوك من الاتصال به أولاً ! فمن هو سيد هذا القصر ؟

– انت يا سيدي ، بدون أدنى شك ، ولكننا أردنا ان نجنبك اعادة سؤالك ، تقديراً منا لحالتك الصحية . وقد سبق ان أدليت الى المفتش بيكون بأقوالك ، وقد رأينا فيها الكفاية ، علاوة على ان الدكتور كيمبر قال :

– صحيح اني شيخ هرم . أما عما قاله دكتور كيمبر ، فما أظنه الطبيب البارع القادر على تشخيص مرضي انه يرجع كل ما أشعر به الى ما تناولته من الطعام

وهذا ما فعله في عيد الميلاد ، حينما شعرت ببعض الآلام المعوية . ماذا أكلت ؟ متى تناولت وجبتي ؟ من الذي قدمها لي ؟ باطل في باطل ، وهراء في هراء ! ومهما كان من أمر صحتي فإني أستطيع ان أقدم لكم المعونة بكل وسعي ان جسم الجريمة وجد في ممتلكاتي ووقعت الجريمة في مخزن ملحق ببيتي ! ماذا تريدون ان تعرفوا ؟ وما هي وجهة نظركم ؟

– لم يأن الأوان بعد لتكون لنا نظرية محددة ، اننا معنيون أولاً بالكشف عن شخصية المجني عليها .

– انها أجنبية على حد قولكم

– هذا ما نعتقده .

– هل هي عميلة أجنبية ؟

– كلا . اني أستبعد هذا .

– ولماذا ؟ إنهم منتشرون في كل مكان ! لماذا تصرح لهم وزارة الداخلية بدخول البلاد ، هذا لا أدرك له تبريراً ؟ انهم يحاولون التجسس على أسرارنا الصناعية ، ولعل هذا ما كانت تفعله الجني عليها .

– في براكهمبتون ؟

– ان المصانع في كل مكان منها ، يوجد أحدها بجوار السور الخلفي لممتلكاتي .

وتطلع كرادوك الى بيكون الذي انبرى قائلا :

– مصنع للصناديق المعدنية .

وأردف الشيخ قائلا :

– وكيف تثق بأن هذه هي صناعتهم ؟ لا تصدق كل ما يقولونه لك . فليكن . ولنسلم بأنها لم تتجسس . فمن عساها ان تكون ؟ هل تعتقد انه كانت لها علاقة بأحد أبنائي ؟ اذا كان الشأن كذلك ، فلا بد وانه الفريد ، أما هارولد فلا ، انه يعرف خطواته جيداً . وبالنسبة لسيدريك فالاقامة في هذه البلاد لا تطيب له . وهذا يعود بنا الى الفريد . ولعل أحد تعقبها الى هنا اعتقاداً منه انها آتية لموافاة الفريـــد ، فقتلها انتقاماً ، ماذا ترى في نظريتي هذه ؟

وحرص المفتش كرادوك بلباقته ، على ان يذكر للشيخ انها مجرد نظرية ، حيث يتسع المجال لكثير غيرها ، وانها لا بأس بها ، في هذا الظلام المدلهم الذي يكتنف الحادث وأردف قائلا :

– ان المستر الفريد كراكنثورب لم يتعرف على الجثة برغم ذلك .

قال الشيخ :

– انه يخشى نتيجة تعرفه عليها ! ان الفريد جبان رعديد ! وهـــو كاذب منافق ! ان جميع أبنائي ليسوا سوى طغمة فساد تترقب وفاتي .

ان هذا هو هدفهم الأسمى في الحياة . دعهم ينتظرون فسيطول بهم الانتظار . حسناً ، اذا كان هذا هو كل ما يمكنني القيام به .. فمن حقي ان أنال قسطي من الراحة لأني جد تعب

وغادر الرجل الغرفة كما دخلها منـــذ قليل ، وراح بيكون يردد متسائلا ، ما قاله الوالد عن ولده الفريد .

ويعود لينكر عليه هذا القول :

ـ أعتقد شخصياً ، إن الفريد بعيد عن ذلك كل البعد . انه ليس رجلنا على الرغم مما يعرف عنه من سلوك سيء ، وبالمناسبة ، مـا هو رأيك في رجل الطيران ؟

ـ بريان ايستلاي ؟

ـ نعم . قـد التقيت بواحد او اثنـين من طرازه . انهم ممن يقال عنهم ، انهم رجال لا يتحرجون عن الإقدام على شيء في الحيـاة ، لقـد واجهوا الموت والمخـاطر .. وكل مـا هو مثير ، في بدايـة حياتهم .

انهم خامة صالحة ، انهم الماضي بدون مستقبل ، وهم ينتهزون الفرصة اذا سنحت لهم .

انهم يستسلمون لغرائزهم ، دون مراعاة للناموس الادبي . انهم لا يعرفون الخوف ، ولا يعرف قاموسهم الحذر .

فإذا حدث ان لايستلاي علاقة بفتاة ، وأراد قتلها ؟ واذا كان ثمة داع لذلك .

فلماذا يودع جثتها في تابوت والد زوجته ؟

يخيل الي ان أعضاء هذه الأسرة لا علاقة لهم بهذه الجريمة .

فإذا كان احدهم هو الذي قارب هذه الجريمة .

فما كان ليودع الجثة في مخزن ، على بعد خطوات من باب بيت الأسرة .

وأقر كرادوك وجهة نظر زميله الذي يسأله :

-- كلا .

واقترح عليه بيكون أن يقفلا راجعين الى باركهمبتون لتناول قدح شاي .

غير ان كرادوك اعتذر بانه ذاهب لزيارة صديق قديم .

الفصل العاشر

استقبلت المس ماربل، وهي جالسة في الكرسي الوثير ، المفتش كرادوك مرحبة بقولها :

– اني جد سعيدة بأنهم عهدوا اليك بهذه المسألة . وقد كنت أرجو ذلك فعلا .

– حين تسلمت رسالتك ، حملتها رأساً الى المدير المساعد . وكان قد علم بأحداث هذه الجريمة من شرطة براكهمبتون ، حينما اتصلوا به يدعون الإدارة للتدخل ، وبدا في اقوالهم انهم يظنون ان الجريمة ليست محلية .

وقد أثارت رسالتك اهتمام المدير المساعد وأعتقد أنه كان قد سمع عنك بواسطة خالي .

– العزيز سير هنري.

– وقد سألني ، ان أحيطه علماً بكل ما في قضيـة آل بادوك من تفصيلات .

هل ترغبين ، في سمـاع ما قاله ، تعقيبـاً على ما سردته عـلى مسامعه ؟

– أرجو ان اعرف منك كل ما عقب به على ما سمعه منك ، اذا لم

يحصل في ذلك افشاء للسر .

– قد قال « حسناً ، وبناء على ما يبدو ، ان هذه القضية بدأت بما أبلغت به السيدتان ، ثم اتضحت صحته ، وحيث انك تعرف احديهما ، فإني اوفدك لاستكمال التحريات في هذه القضية . »

وها أنا الآن بين يديك !

والآن ، يا سيدتي ، من أين نبدأ ؟ ان زيارتي هذه ، ليست بالرسمية . وقد جئت بمفردي .. فلقد رأيت ان نتبادل الرأي على انفراد .

وابتسمت المس ماربل قائلة :

– اني واثقة ان أحداً ما كان ليصلح للاضطلاع بهذه القضية خيراً منك . والآن ، الي بكل ما لديك .

– لقد اجتمعت لدي كل التفصيلات ، فيما أعتقد ، أقوال صديقتك مسز ماك جيليكودي أمام شرطة سانت ماري ميد ، وما أيد به المحصل أقوالها هذه .

ومذكرة ناظر محطة براكهمبتون يتوج هذا كله ، ما قمت به من مجهود الكشف غموض هذه القضية .

– الأمر وما فيه . إني أعرف اليزابيث ماك جيليكودي خير المعرفة . وأعرف انها لا تقول إلا حقاً .

غير ان الأمر كان يستوجب تأييد روايتها ، أثر ما اتضح من اختفاء جسم الجريمة ، وإلا خيل إلى البعض ان قصتها كانت من نسج خيالها ، كما هو دأب من تقدم بهن العمر . وهذا إن صح مع غيرها فهو لا يصح من اليزابيث ماك جيليكودي

– إني أتوق إلى اليوم الذي يجمع بيني وبينها . ليتها لم تسافر الى سيلان .

وقد اتخذنا اللازم لأخذ أقوالها هناك ، تفصيلاً . إن ذهنك المتوقد كان له .

– هذا توفيق من الله . إن استقراء الأحداث ومتابعتها ، لا بد وان يؤدي بالمرء إلى النتيجة المرجوة .

– هل باستطاعتك ، باسلوبك هذا .. أن تتبعي القاتل إلى حيث يوجد الآن ؟

– ليتني أستطيع هذا .. لم تختمر لدي الفكرة بعد ، وان كنت واثقة من ان القاتل ممن أقاموا في روذفورد هول ، أو يعرفون كل شيء عنه .

– اني موافق على وجهة نظرك هذه ، غير ان نظريتك هذه تفتح أمامنا آفاقاً واسعة . لقد عمل بهذا البيت كثيرات ، وكلهن يعرفن كل شيء من القصر وملحقاته .

– نعم ، ومن هنا يزداد الأمر صعوبة .

- اننا لن نتقدم خطوة ما لم نكشف عن شخصية المجني عليها.

– وقد يكون هذا هو الآخر صعب المنال .

– إننا بالغون هدفنا ، إن عاجلاً أو آجلاً . ونحن نواصل تحرياتنا دائبين لإماطة اللثام عن هذه العقبة الكأداء في سبيلنا .

ولم نجد الى الآن ، من بلغ عن اختفائهن ، ومن تنطبق أوصافها على المجني عليها .

إن الطبيب الشرعي يقدر لها انها في الخامسة والثلاثين من عمرها ، صحيحة البدن ، متزوجة على الأرجح ، رزقت بمولود واحد على الأقل .

كما اتضح ان معطفها زهيد السعر ، مشترى من أحد متاجر لندن . وقد بيع من هذه المعاطف المئات في الثلاثة الأشهر الأخيرة ، ستون في المائة

منها النساء شقراوات . ولم تتعرف أي من البائعات على صورة الجني عليها الفوتوغرافية .

أما سائر ملابسها ، فهي صناعة أجنبية ، تم شراؤها في باريس . وقد اتصلنا بشرطة باريس للقيام بما يقتضيه الأمر من تحريات

إن المسألة مسألة وقت ، فعاجلا او آجلا سيتقدم احد ليبلغ عن اختفاء قريب او مستأجر .

– وعلبة البودرة ، ألم تؤد الى شيء ؟

– كلا ، بكل أسف ، انها من السلع العامة التي تباع بالمئات . وبالمناسبة ، لقد كان الواجب يقضي ، بتقديم هذا الدليل الى الشرطة ، على الفور .

– ان جسم الجريمة لم يعثر عليه إلا في آخر لحظة . وقبل اكتشاف أمره ، لم تكن ثمة جريمة .

إن مجرد العثور على علبة بودرة ، أثناء ممارسة أحد ما لرياضة الجولف لا يعني شيئاً . وقد رأيت ان العثور على الجثة هو ما يجب أن نبدأ به .

– يبدو انك كنت واثقة من العثور عليها ؟

– بكل تأكيد . إن لوسي ايلزبارو فتاة بالغة الذكاء ، والكفاية

– هذا ما تبينته مما كان منها ! إنها قوية الملاحظة مثابرة .

– ما هو موقف كراكنثورب منها ؟ فلم تعد تتصل بي بعد أن قامت بما عهدت اليها .

– انهم لا يعرفون شيئاً عن علاقتها بك . فهي تواصل عملها هناك لحسابها .

وكان في وسعها ان تترك خدمتهم متى شاءت ، ولكنها بقيت تؤدي عملها

المنزلي ، فما هو السبب ؟

– لست أدري ، لعل المقام قد طاب لها .

– من زاوية المشكلة ؟ أم بالنسبة للأسرة ؟

– قد يكون الاثنان معاً ، إذ يصعب الفصل بين الحافزين ؟

-- هل لديك فكرة ما ؟

– كلا .. كلا .

-- أعتقد ان ثمة خاطراً خاصاً يجول في ذهنك .

-- لم يتبلور شيء معين في ذهني بعد .

– إذن ، ليس علي في الوقت الحاضر سوى ان أترقب وأنتظر .

– اني واثقة انك ستصل الى النتائج المبتغاة

– ألا تستطيعي ان تزوديني بما أسير على هداه .

– قد تبادر الى ذهني خاطر – وهو تلك الفرق المسرحية التي تجوب البلاد متنقلة من مكان الى مكان كالقوم الرحل .

ولا أستبعد ان تكون إحدى فتيات هذه الفرق متخلفة عن فرقتها .

-- نعم هذه بداية طيبة ، وخاطر له قدره ، وسوف أولي هذه الزاوية عناية كبرى . لماذا تبتسمين ؟

- لقد دار بخلدي ، ماذا سيكون رأي اليزبيث ماك جيليكودي حينما تعلم بعثورنا على الجثة ؟

* * *

وقالت مسز جيليكودي :

- حسناً ! هكذا !

ولم تسعفها كلماتها . وكانت تنتقل بميلها بين الشاب المهذب الذي قدم لزيارتها ، وعرفت فيه أحد رجال الشرطة ، وبين الصور الفوتوغرافية التي بين يديها .

واخيراً قالت :

- هذه هي . انها هي بدون أدنى شك ، يا للمسكينة !

إني سعيدة لعلمي بأنكم عثرتم على جثتها ! ان احداً لم يصدق حرفاً من قصتي ! وان المرء ليضيق صدره بعدم تصديق الناس له ، ومهما كان الأمر ، فلا يستطيع احد ان يزعم اني لم أبذل كل ما في وسعي . أين وجدت الجثة .

- في مخزن ملحق بمنزل يطلق عليه اسم روذرفورد هول ، بقرب براكهمبتون .

- لم أسمع باسم هذا البيت قبلا ، واني لأتساءل كيف تم العثور على الجثة هناك .

ولم يعقب رجل الشرطة بشيء .

فاستطردت قائلة :

- لا بد انها جين ماربل ، ان جين موضع ثقة ، في مثل هذه الأمور .

- لقد اكتشفت أمر الجثة فتاة تدعى مس لوسي ايلزبارو ، وبناء على الأوراق التي بين يدي .

- وهي الأخرى لم يسبق ان سمعت باسمها قبلا ، غير اني ما زلت اعتقد ان لمس ماربل علاقة بهذه النتيجة الموفقة .

- ولندع هذا الى ما أتيت لأجله . أفهم مما سبق ان قررت به ان هذه الصورة هي لسيدة المطار ؟

– هي بعينها التي شاهدت رجلا يقتلها خنقاً بيديه .
– وهل يمكنك أن تصفي هذا الرجل ؟
– كان رجلا طويل القامة أسود الشعر .
– نعم ؟
– هذا كل ما أستطيع الادلاء به من أوصاف ، لقد كان يوليني ظهره فلم أستطع أن أري وجهه .
– هل يمكنك التعرف عليه إذا ما عرض عليك ؟
– كلا ، طبعاً ؟ كيف يتأتى لي هذا ولم تتيسر لي رؤية وجهه ، انه شاهدته به من وضع لم يتح لي هذه الفرصة .
– ألا يمكنك تقدير سنه ؟
- كلا . ليس على وجه التحديد ، كما أعني . وإن كنت واثقة من لم يكن في مقتبل العمر . لقد كان عريض المنكبين تجاوز الثلاثين بكثير هذا كل ما في وسعي أن أتحدث به عن أوصافه ، لأنني لم أكن معنية بالتحديق فيه ، كما ترى ..
انها هي من كنت أتأملها وقد أطبق بيديه على حنجرتها وبدا وجهها بشعاً .. لطالما عاودني هذا المشهد في أحلامي !
– لقد اجتزت تجربة شاقة متى ستعودين إلى انجلترا .
– ليس قبل ثلاثة أسابيع هل ثمة ما يستدعي ..
- كلا ، لا يوجد ما يستدعي التعجيل بالعودة في الوقت الحاضر الأقل ، هذا ما لم يتم القبض ..
وترك لها استكمال ما كان بسبيل قوله .

* * *

حمل البريد رسالة من مس ماربل إلى صديقتها ، وكانت الرسالة مدونة بخط رديء ، وقد ازدحمت بالخطوط والعلامات المؤكدة ..

غير أنه كان من اليسير على مسز مـــاك جيليكودي أن تقرأ هذه الطلاسم التي ألفتها من صديقتها !

وكانت الرسالة تتضمن سرداً مفصلاً من مس ماربل لكل ما كان أثنـاء وجود مسز ماك جيليكودي !

وقد طابت مسز جيليكودي خاطراً بما أطلعت عليه من تفصيلات

الفصل الحادي عشر

بادر سيدريك كراكنثورب مس لوسي ايلزبارو قائلا وهو يحـدق النظر فيها :

– في الواقع ، إنني لفي حيرة من أمرك .

– ولماذا ؟

– وما هو عملك هنا على وجه التحديد ؟

– انني أعمل في سبيل معاشي ، الست ترى ما أقوم به من خدمـات منزلية ؟

– انك تقومين بجميع الأعمال – من المطبخ إلى النظافة إلى آخر الأعمال المنزلية .

– إنني أجد متعة في عملي وأهوى أعمال الطهو والنظافـة ، وإصلاح ما فسد .

– إنني أعيش في فوضى تطيب لي

– هذا ما أعتقده .

– ان كوخي في ايفيزا خير شاهد على ذلك ، إنني أهوى الرسم والنحت ، ولا أحب أن يمس حاجياتي أحـد سواي ، ولا اسمح بزيارة النساء لي .

– من المفروض أن رجلا ، له مثل ذوقك الفني ، لا تخلو حياته من الحب

– ان حياة الحب لا يجب أن تغير من حياتي الخاصة ، وتعدل من أسلوبها .

– لكم أود أن أقوم بزيارة لمسكنك !

– لن تتاح لك هذه الفرصة

– هذا ما اعتقده .

وتطرق بهما الحديث إلى الاهمال البادي في الكثير من أنحاء هذا القصر وملحقاته ، وتمنت لو تيسر لها القيام بما يعيد له بهاءه .

وعندئذ انبرى سيدريك قائلا

– يا لك من فتاة تجنح إلى التدخل في كل شيء ، إني لأتبين الآن لماذا قدر لك بالذات ان تعثري بهذه الجثة ! وأنت بالذات من أوتيت الجرأة على الاقتراب من تابوت أثري قديم ..

والنعد الآن إلى ما كنا نتجاذبه من أطراف الحديث ، إن هذا الاهمال البادي مرجعه إلى والدي الذي يقبض يده على إنفاق ما يتطلبه هذا القصر ليبدو بمظهر لائق ، وبالمناسبة ماذا ترين في والدي ؟

– لم تتح لي فرصة الاقتراب منه بما فيه الكفاية .

– لا تحاولي تجنب الاجابة الصريحة ، إنه رجل شحيح بخيل غير متزن العقل ، إلى حد ما وهو يبغضنا جميعاً ، باستثناء إيما ، والسبب في ذلك يرجع إلى ما نصت عليه وصية جدي .

وتطلعت اليه لوسي مستفسرة ..

فاستطرد يقول :

كان جدي عصامياً جمع ثروة طائلة بكده واجتهاده ، أما والدي فلم يكن على شاكلة جدي ، وكان كثير الأسفار والتنقل بين إيطاليا والبلقان

واليونان . يهوى اقتناء العاديات وآيات الفن ، ونفى جدي عليه هذا ، ورأى فيه رجلا لا يصلح للعمل ولا يفهم شيئاً في الفن ، وأعتقد أنه كان مصيباً في رأيه هذا . .

وبناء على ذلك قرر ان يوصي بثروته لأحفاده ويحقق الدخل لابنه مدى الحياة . فما كان من والدي إلا أن توقف عن السفر والترحال والانفاق وعاد إلى الوطن ليبدأ في ادخار النقود ، الأمر الذي لم يعد له هم سواه .

واقد استطاع ان يجمع ثروة تكاد ان تبلغ قدر ما تركه جدي ، وكان هذا بفضل تقتيره وعيش الحرمان الذي اختاره لنفسه ولأبنائه .

إن جمع المال هواية لا أكثر ولا أقل ، وفيما هذا التقتير ، وقد بلغ من العمر عتياً ؟ ولمن يجمع هذا المال ؟

الأبنائه الذين يبغضهم والذين ستؤول لهم ثروة جدي ؟ انه لا يريد أن يبسط يده لأحد منا ، فها أنا أعيش عيش الكفاف في جزيرة نائية ، أما هارولد فقد وفق في ان يشق طريقه ويصبح من رجال الأعمال الناجحين ، وإن كنت قد سمعت أخيراً ، أنه يجتاز ضائقة مالية . . أما الفريد فهو شاة الأسرة السوداء .

– ولماذا ؟

– إنك تريدين أن تعرفي الكثير ! إن الفريد ، لم يقدر له بعد أن يحكم عليه بالسجن وان كان قد اقترب منه غير مرة . لقد كان موظفاً في وزارة التموين ، أبان الحرب ، ولكنه اقصي عن منصبه في ظروف غامضة .. ثم كان أن اشترك في صفقات حامت حولها الريب والشكوك .

– اليس من الخطأ أن تفشي هذه الأسرار ، لمن لا يمت للأسرة ، بصلة قرابة ؟

– لماذا ؟ هل أنت من مرشدي الشرطة ؟

– ربما !

– لا أعتقـــد هذا ، لقد التحقت بالعمل هنا ، قبل أن تبدأ الشرطة نشاطها معنا .

ولم يستطرد فيما كان بسبيل التحدث به بناء على ظهور إيما فجأة قادمة من باب المطبخ الخلفي .

فبادرها بقوله :

– أهلا إيما ، يبدو عليك الانزعاج ؟

– نعم ، أريد أن أتحدث اليك .

فانبرت لوسي تقول عامدة :

– لدي ما يستدعي عودتي إلى المنزل .

فاعترض سيدريك قائلاً :

– لا تنصرفي لقد اصبحت فرداً من افراد الأسرة ، بعد اطلاعك على كل صغيرة وكبيرة نتيجة لما أثاره هذا الحادث !

– لدي الكثير من الأعمال التي تنتظرني .

– وأسرعت تغادر المطبخ إلى الحديقة ..

وسيدريك يتبعها بنظراته قائلاً :

– إنها فتاة جميلة ترى ما هي حقيقة أمرها ؟

فأجابته إيما قائلة :

– إنها معروفة للجميع ، دعنا الآن من لوسي ، انني جد قلقـة ، إن رجال الشرطة يعتقدون أن المجنى عليها اجنبية ، ربمـــا كانت فرنسية ، سيدريك ألا يمكن أن تكون هذه الفتاة هي – مارتين ؟

* * *

وحلق سيدريك في وجهها وكأنه لا يعي شيئاً مما سمع :

- مارتين ؟ من عساها ان تكون - آه تعنين مارتين !

- نعم . هل تعتقد .

- وما الذي دعاك لهذا الاعتقاد ؟

- تلك البرقية التي بعثت بها هي التي اثارت ريبتي ، ان تاريخ هـــذه البرقية يكاد يكون معاصراً .. ألا يمكن ان تكون قد قررت زيارة انجلترا اخيراً و ..

- هراء .. ما الذي يدعو مارتين للقدوم وتلمس طريقها إلى المخزن الكبير ؟ ولماذا ؟ اني استبعد هذا .

- ألا ترى . انه من الأفضل ، إبلاغ المفتش بيكون بذلك ، او زميله الآخر ؟

- وبماذا تريدين ابلاغه ؟

- بموضوع مارتين وبرسالتها

- لا تقومي بما من شأنه ان يزيد الامور تعقيداً ، انك ستثيرين موضوعاً لا علاقة له بهذا الحادث إطلاقاً ، ولن تساعد اثارته على جـلاء الموقف . بل ستزيده تعقيداً ثم انني لم اكن مقتنعـــاً بتلك الرسالة الواردة من مارتين ..

- ولكنني كنت مقتنعة بها

- انك تصدقين كل شيء ايتها الشقيقة الطيبة القلب ان نصيحتي لك أن تسيطري على اعصابك وتغلقي فمك ، ان على رجال الشرطة ان يميطوا اللثام عن شخصية مجرم الجريمة وأعتقـد ان هذا هو رأي هارولد أيضاً

- اعرف ذلك ، وهذا ما سيراه الفريد هو الآخر ، ولكنني قلقة غـير مطمئنة ولست ادري ماذا انا فاعلة .

– لا شيء إيما ! إن ما ينبغي لك هو أن تلزمي جانب الصمت . لا تخلقي المتاعب ولا تستزيدي من مصادر قلقك وهذا هو شعاري في الحياة ..

وعادت إيما كراكنثورت أدراجها إلى المنزل كسيفة البال ، مبلبلة الفكر ..

وفيما كانت في طريقها إلى البيت خرج الدكتور كيمبر منه وفتح باب سيارته الأوستن وتوقف بمجرد أن وقع نظره عليها .

ثم تقدم نحوها قائلاً :

– إن والدك في خير حال ، وكأني بجرائم القتل لها تأثيرها الساحر على صحته . ترى هل يكون فيها علاج ناجح لبعض المرضى ؟

وابتسمت إيما ..

غير أن الدكتور كيمبر كان من الفطنة بحيث تبين ما يختلج به وجهها من إمارات القلق فسألها :

– ماذا بك؟ هل من جديد

وتطلعت إيما اليه تطلع المستنجد بما عهدت فيه من عطف ومودة ، فلقد ترى فيه الصديق الذي تركن اليه أكثر من الطبيب المعالج ..

وصارحته بقولها :

– نعم اني جد قلقة .

– هل لي أن أعرف السبب ؟ هذا إذا لم يكن لديك مانع ؟

– إنك تعرف فعلاً بعض ما يسبب انزعاجي ، إن ما يثير قلقي هي إني لا أعرف ما يجب أن أفعله على وجه التحديد

– إنني أعرف عنك حسن تقديرك للأمور ، ماذا يقلقك ؟

– لعلك تذكر ما تحدثت به اليك من قبل عن شقيقي الذي قتل في الحرب ؟

– عن موضوع زواجه ، أو شروعه في الزواج بفتاة فرنسية .

– نعم ، لقد قتل عقب تسلمنا تلك الرسالة مباشرة .. ولم نسمع شيئاً بعد ذلك عن الفتاة ، ولم نكن نعرف عنها اكثر من اسمها الأول ، وكنا نتوقع ان تكتب لنا ، ولكنها لم تفعل ، ولم نعرف عنها شيئاً ، وذلك إلى ما قبل عيد الميلاد بشهر ..

– نعم حينما تلقيت رسالة منها ؟

– رسالة تضمنت أنها موجودة في انجلترا وتود لو حضرت لزيارتنا ، وبعد أن اعددنا كل شيء لاستقبالها ابرقت الينا ، في آخر لحظة انها اضطرت للعودة إلى فرنسا على عكس ما كانت تتوقع .

– حسناً ؟

– إن رجال الشرطة يعتقدون أن الجنى عليها فرنسية .

– أحقاً ما تقولين ؟ لقد خيل إلي أنها انجليزية ، إذن فإن ما يقلقك هو احتمال أن تكون الجنى عليها هي فتاة أخيك ؟

– أجل ..

– إني أستبعد هذا الاحتمال ومهما يكن من أمر ، فإني أدرك حقيقة ما تشعرين به .

– وتجدني في حيرة من أمري – ترى هل أفضي إلى رجال الشرطة بكل ما يدور بخلدي أن سيدريك وسائر الأشقاء يرون ألا ضرورة لشيء من هذا القبيل فماذا ترى ؟

واطرق الدكتور كيمبر قليـــلا ، دون أن يعقب بشيء واستغرق في التفكير ملياً !

وأخيراً انبرى يقول لها في لهجة المتردد المحرج :

– ليس من شك في ان التزام الصمت هو السبيل الأكثر سلامـة ، واني لمدرك لما يشعر به اشقاؤك ..

– أجل .

– ومع ذلك فإنني على استعداد لاحاطتهم علماً بكل شيء.. وذلك لأبدد عنك ما يساورك من قلق ، إنني خير من يفهمك .

– ربما كنت تعرف عني .

– فلتفعلي ما تشائين ، أي إيما العزيزة ، وليذهب إلى الجحيم من يذهب ، وثقي إنني سأقف إلى جانبك ضدهم جميعاً إذا اقتضى الأمر ذلك في يوم ما .

الفصل الثاني عشر

– أيتها الفتاة ! أنت .. تعالي هنا .

وتلفتت لوسي دهشة ، وكان المنادي مستر كراكنشورب ، الشيخ الذي كان واقفاً بأحد الأبواب إلى الداخل .

- هل تأمر بشيء يا سيدي ؟

– صه ، ولا تثرثري .. تعالي هنا .

وصدعت لوسي بالأمر .

وأمسك مستر كراكنشورب بذراعيها وجذبها إلى داخل الغرفة وأوصد الباب من خلفها ..

ثم بادرها قائلاً :

– أردت أن أطلعك على شيء ما .

وجالت لوسي بعينيها فيما حولها . وادركت انهما في غرفة صغيرة كانت معدة لتكون غرفة مكتب ، ولكنها كانت مهجورة لفترة طويلة من الزمن .. وكانت هناك أكداس من الأوراق المهملة فوق الخوان وقد تدلت خيوط العنكبوت من السقف .

وكان جو الغرفة رطباً عفناً ..

– هل تريدني ان اقوم بتنظيف هذه الغرفة .

– كلا . إنك لن تفعلي شيئاً من هذا القبيل ! إنني احتفظ بهذه الغرفة مغلقة ، إن إيا تصمو إلى دخولها والعبث بمحتوياتها ، إنها غرفة مكتبي الخاصة ، هل ترين هذه الأحجار انها عينات جيولوجية .

وتأملت لوسي مجموعة من اربع عشرة قطعة من الصخر بعضها مصقول والبعض الآخر خام . .

وقالت في هدوء :

– رائعة ومثيرة !

– إنها لكذلك فعلاً ، إنك فتاة ذكية . اني لا ادع لكل من هب ودب فرصة القاء نظرة عليها انني سأطلعك على اشياء اخرى .

– اني لشاكرة لك عطفك ، غير أن ثمة ما ينبغي ان افرغ منه ، ان اعبائي المنزلية كثيرة .

– وبالذات لمن تكاثر منهم لمناسبة ما يجري من أحداث أنت تتكلفين المشقة وانا اتكلف النفقات .

إنهم يلتهمون ثروتي بما يلتهمونه من طعام ! وجميع هؤلاء يترقبون موتي بصبر نافذ ، ولكنني لن أشبع رغبتهم ، وسأخيب ظنهم انني اصح بدناً مما يظنون .

– هذا مما لا شك فيه .

– وانني أصغر سناً مما يخيل الى ايما . التي تعتقد اني شيخ هرم تقدمت به السنون

– كلا ، وبكل تأكيد .

– إنك الفتاة فطنة ، تأملي هذه .

وأشار إلى خريطة كبيرة مثبتة الى الحائط . وكانت لشجرة النسب ، التي تبين التسلسل العائلي للأسرة .

وكانت بعض الأسماء مدونة بحروف صغيرة ، والبعض الآخر بحروف كبيرة يعلوها التيجان .

وانبرى كراكنثورب قائلاً وهو يومىء بإصبعه الى أعلى الشجرة :

– سلالة ملكية ، انها شجرة نسب والدتي ، وليست شجرة أنسب والدي . لقد كان رجلاً عادياً من عامة الشعب ! ولم يكن يحبني !

وكنت بعيداً عنه أقرب لوالدتي وكانت لي ميولي الفنية ونزعتي الكلاسيكية ، وتلك الميول والمشاعر لم يكن يعرف عنها شيئاً او يقرها . اني لا أذكر شيئاً عن والدتي شخصياً – لقد فارقت الدنيا ، بينما كنت في الثانية من عمري .. وهذه هي اسرتها الملكية ، انه نسب أفخر به وأزهو .

– حقاً ..

– والآن سأعرض عليك شيئاً آخر .

وتأبط ذراعها ، الى قطعة من الأثاث القديم ، المصنوع من خشب البلوط .

وكانت لوسي تشعر بقوة الذراع التي تستند اليها . ان هذا الرجل ، بخلاف ما يبدو ، صحيح معافى .

واستطرد مستر كراكنثورب قائلا :

– تأملي هذه ؟ لقد وجدت في لاشنجتون – مسقط رأس والدتي ، انها من عصر اليزابيث .. ولا يمكن لأقل من اربعة رجال نقلها من مكانها ، انك لا تعرفين ما احتفظ به داخلها ؟ هل ترغبين في ان اطلعك على ما بداخلها .

– أجل !

– انك فضولية ، كما علمت بذلك وهو شأن النساء جميعاً .

واخرج مفتاحاً من جيبه فتح به الجزء الأسفل من الصوان

ثم مد يده وأخرج صندوقاً حديث الصنع فتحه هو الآخر بمفتاح ثان قائلا .

- فلنلق نظرة على هذا هل رأيت ما بداخله ؟

واخرج لفافة افرغ بعض ما بها في راحة يده .. وكانت من العملة الذهبية وهو يقول .

— تأملي هذه ، تأمليها جيداً ، امسكي بها وتحسسي ملمسها . هل عرفت ما هي ؟ طبعاً انك اصغر سناً من ان تلم في علمها .

انها جنيهات ذهبية - وهي العملة التي كانت مستعملة قبل تداول هذه الأوراق النقدية القذرة . وقد احتفظت معها بأشياء اخرى لها قيمتها .. وايما لا تعرف شيئاً عن كل هذا

اني احتفظ بها للمستقبل . وهذا سر بيني وبينك ، هل فهمت ؟ اتعرفين لماذا اطلعك على سري ، واوليك ثقتي ؟

— لماذا ؟

— لاني لا اريد ان ترى في رجلا مريضاً يلهون به ، ان الرجل الشيخ ما زال يفيض حيوية ونشاطاً لقد توفيت زوجتي منذ وقت طويل وكانت تعارضني في كل شيء . ولم تكن راضية عما سميت به اطفالنا من اسماء سكسونية اصيلة ، ولم اعرها التفاتاً .. ولم تكن آراؤها لتعينني في كثير او قليل ، واني لاتوسم فيك الفتاة العاقلة الفطنة .

واليك مني هذه النصيحة . لا تسلمي زمامك الى شاب غر . وعليك ان تترسمي خطواتك ولا تتعجلي امرك !

انتظري وترقبي ، هذا كل ما انصحك به . ان هؤلاء الحمقى يترقبون موتي . ان معظمهم سيفارق هذه الدنيا قبلي . وان غداً لناظره قريب !

ان هارولد لم ينجب اطفالاً . وسيدريك والفريد لم يتزوجا . وايما لن تتزوج في الوقت الحاضر على الاقل !

إنها معجبة بكيمبر . غير ان كيمبر لا يفكر في الزواج من إيما ..
ويبقى أمامنا الكسندر . وأنا مغرم بهذا الصبي . أجل .. انني أحب
الكسندر

ووقف مقطب الجبين ..

ثم قال :

- مادا ترين في كل هدا ؟ ماذا ترين ؟

وسمعت صوت مس كراكشوب تناديها ..

فرحبت لوسي بالفرصة قائلة :

- مس كراكنثورب تناديني .. يجب أن أنصرف . شكراً جزيلاً على
ثقتك وما أطلعتني عليه .

إياك وأن تبوحي بالسر !

اطمئن لن افشي لك سراً

قالت هذا ، وأسرعت تغادر الغرفة إلى البهو ، وهي غير واثقة مما إذا
كانت قد تلقت عرضاً بالزواج أم لا ..

* * *

كان ديرموت كرادوك جالساً إلى مكتبه بنيو سكتلنديارد . وكان
ممسكاً بسماعة التليفون ، وهو يحاول التعبير عما يريد الحديث به
بالفرنسية

- إنها مجرد فكرة هل تفهمني ؟

- أجل مجرد نظرية .

بهذا كان تعقيب صاحب الصوت المتكلم من إدارة الأمن العام في باريس ،

والذي استطرد قائلاً :

– لقد أمرت بجمع التحريات في هذه الدوائر وقد قرر من وكل بذلك أنه يواصل تحرياته في ناحيتين أو ثلاث وهي تبشر بنتائج مثمرة . وما ان كان لهاته النساء حياة عائلية أو عاشق معين ، فإن اختفاء إحداهن لا يعني أحداً ويؤسفني أن أحيطك علماً بأنه كان من العسير التعرف على الصورة الفوتوغرافية التي بعثت بها إلي .. إن الموت خنقاً يفسد من ملامح الوجه الطبيعية . وعلى الرغم من هذه الملابسات التي بينتها لك فإننا نواصل البحث والتحري . وسأوافيك بما يستجد . إلى اللقاء ! »

بمجرد إنتهاء المكالمة التليفونية ، وجد كرادوك أمامه قصاصة ورق مدون عليها ..

مس إيما كراكنثورب تطلب
مقابلة المفتش كرادوك
بقضية رود فررد هول .

وما أن فرغ من تلاوة ما سطر ، أمر الشرطي :

– دعها تدخل .

وبينما كان جالساً في انتظارها تبادر إلى ذهنه إنه لم يجاف الصواب فيما خيل اليه من أن إيما تعرف شيئاً – وها هي قد استقر رأيها على الافضاء بما لديها ..

ونهض يستقبلها مصافحاً .

وبعد أن دعاها للجلوس قدم اليها لفافة تبغ رفضتها شاكرة . وبعد لحظة توقف تبين منها أنها لا تعرف كيف تبدأ الحديث . رأى أن ييسر عليها الأمر بقوله :

– مس كراكنثورب . هل كان مجيئك بغية الافضاء بشيء ؟

هل في وسعي القيام بأية خدمة ؟ إن ثمة ما يسبب قلقك ؟ شيء

قد ترينه تافهاً لا صلة له بالقضية ، وقد يكون من ناحيـــة أخرى مرتبطاً بأحداثها بصورة او بـأخرى . لقد حضرت لتحدثيني بذلك اليس كذلك ؟ ولعل لما لديك علاقة مـا بشخصية المجنى عليهـا ، هل تعرفين من عساها أن تكون ؟

– كلا ، كلا .. ليس الأمر كذلك اني أستبعد هذا الخاطر . غير اني !

– غير ان ثمة ما يقض مضجعك يجدر بك أن تصارحيني بمـا يجول في خاطرك فقد يكون في ذلك راحة لك

– لقد اجتمعت بثلاثة من أشقائي .. غير أن لي شقيقـــاً آخر ، هو ادموند .. قتل في الحرب ! وقبل أن يلقى مصرعه بقليل ، كتب إلي من فرنسا !

وفتحت حقيبة يدها وأخرجت منها رسالة تلت منها :

« أرجو ألا تفاجىء بما سأصارحك به ، أي عزيزتي إيما – إني سأتزوج من فتاة فرنسية !

« لقد جرت الأمور بأسرع مما قدرت لها ، ولكنني أعرف أنك ستحبين مارتين وترعينها إذا ما حدث لي ما ليس في الحسبان .

« وسأكتب اليك بجميع التفصيلات في رسائلي القادمة بعـد أن يتم زواجنا أرجو ان تترفقي بالوالد حينما تنقلين اليه النبأ ! »

ومد المفتش كرادوك يده .. وترددت إيما قليلاً قبل أن تناوله الخطاب ..

واستطردت تقول :

– بعد وصول الخطاب بيومين ، تلقينا برقية تتضمن ان ادموند مفقود ، ويرجح انه لقي حتفه ثم علمنا فيما بعد بأنه قتل فعلاً ، وكان هذا قبل معركة دنكرك .

ولم يتضح من السجلات شيء عن زواجه ، لأن الجيش حينئذ كان في

فوضى لا مثيل لها ، قبل الانسحاب من دنكرك .

ولم تتصل بي الفتاة . كما ان محاولاتي لمعرفة شيء عنها قد ذهبت سدى ، لأني لم أكن اعرف سوى اسمها الأول .

وانتهيت إلى الرأي اخيراً بترجيح عدم إتمام الزواج او أن تكون الفتاة قد لقيت حتفها هي الأخرى .

وأومأ المفتش كرادوك برأسه دلالة على انه يتابع حديثها .

واستطردت إيما بعد ذلك تقول :

– ثم كان أن تلقيت رسالة لفرط دهشتي منذ شهر تقريباً مذيلة بامضاء مارتين كراكنثورب .

– هل أتيت بها معك ؟

– نعم !

وأخرجت إيما الرسالة من حقيبة يدها وناولتها اليه .

واطلع كرادوك على الرسالة ، التي كانت محررة بخط فرنسي رشيق متقن :

آنستي العزيزة .

أرجو ألا تزعجك رسالتي هذه ، ولست أدري ما إذا كان شقيقك ادموند قد احاطك علماً بزواجنا ، ولكنه قال لي انه سيخبرك بذلك ، وقد لقي مصرعه بعد زواجنا ببضعة أيام ، حين احتل الالمان قريتنا .

وبعد ان وضعت الحرب اوزارها استقر رأيي على عدم الاتصال بك بأية وسيلة ، وان كان ادموند قد سألني ان افعل هذا . الامر الذي لم اجد ضرورة له بعد ان اتخذت لي حياة جديدة .

غير ان الوضع قد تغير الآن وقد رأيت ان احرر هذه الرسالة من اجل ولدنا – ابن شقيقك الذي يجب ان تتاح له كل الفرص .

اني قادمة إلى انجلترا في اوائل الاسبوع القادم . هل لي ان اعرف منك

رأيك في هذا اللقاء وفي حضوري ؟

عنوان مراسلتي هو – ١٢٦ ، الفرز كريسنت رقم ١٠ ، ارجو الا اكون قد تسببت في ازعاجك !

مع صادق محبتي ..

مارتين كراكنثورب

ولم يعقب كرادوك بشيء ، بل راح يعيد الاطلاع على الرسالة قبل ان يعيدها الى ايما قائلا :

– ماذا فعلت بعد تسلمك لهذه الرسالة ؟

– لقد تصادف ان زوج شقيقتي ، بريان ايستلاي ، كان مقيماً معنا حينئذ فحدثته بامر هذه الرسالة ، ثم اتصلت تليفونياً بشقيقي هارولد في لندن للاستئناس برأيه ، وقد اشار علي بتوخي الحذر ، لأنه كان يشك في الموضوع كله ، وقد صادفت مشورته قبولاً لدي لانه لم ينطق الا حقاً . غير اني كنت ارى انه في حالة ثبوت ان هذه الفتاة هي نفسها التي حدثني ادموند عنها في رسالته .

فمن المتعين علينا ان نرحب بها ونحسن استقبالها وبعثت اليها برسالة على العنوان المدون ادعوها لزيارة روزرفورد هول لكي يتم اللقاء بيننا .

وبعد عدة ايام تلقيت برقية من لندن هذا نصها :

« اعتذر لاضطراري الى العودة إلى فرنسا فوراً !

مارتين »

وكانت هذه البرقية .. آخر ما ورد لي منها ، ولم اعلم عنها شيئاً بعد ذلك !

– ومتى كان هذا كله ؟

– قبيل عيد الميلاد . لاني كنت انوى دعوتها لقضاء العيد بيننا ! غير ان والدي لم يوافق على اقتراحي مما اضطرني تعديل الاقتراح الى تأجيل

لزيارة إلى نهاية الأسبوع بعد عيد الميلاد ، حين تكون الأسرة مـا زالت مجتمعة

وأعتقد ان البرقية الواردة منها والمتضمنة اعتذارها باضطرارها للعودة إلى فرنسا فوراً ، قد وردت قبل العيد بأيام قليلة .

- وهل تعتقدين ، ان جثة المجنى عليها التي عثر بها في التابوت هي لمارتين ؟

- كلا ، غير انك حينما قلت ان الجثة لأجنبية ، لم أتمـالك نفسي من التساؤل عما إذا كان يحتمل أن ..

- لقد أحسنت صنعاً بافضائك الي بكل هذا ، وسنضع أقوالك هذه موضع الاعتبار ، وأرى من واجبي أن أصارحك بما يساورني من شك في أن هذه المرأة التي اتصلت بك قد عادت أدراجها إلى فرنسا حيث تقيم الآن في خير حال .

ثم ان ثمة توافقاً ملحوظاً في تاريخ الأيام كما تدركين .. وبناء على ما قيل في جلسة التحقيق ، كانت الوفاة منذ ثلاثة او أربعة أسابيع .

والآن ، ليس عليك إلا ان تدعي الأمر لنا وتزيحي عن كاهلك ما يثقـله !

وقبل ان ننهي هذا الحديث ، أحب ان اجلو نقطة عرضت ، لقد قلت انك استشرت اخاك هارولد ، فماذا عن والدك وسائر اشقائك ؟

فأجابت إيما :

لقد أحطت والدي بكل شيء ، وقد فسر الأمر من زاويته الخاصة ، بأنه وسيلة لابتزاز بعض المال منه . إن الناحية المـادية لدى والدي هي كل شيء . انه لا ينفق اكثر من ربع دخله ، ويؤمن بأنـــه يجب أن يدخر الباقي للمستقبل .

أي مستقبـل ! إن هؤلاء المتقدمين في السن يعتقدون انهم سيعيشون

أبداً . دعنا من هذا ، ولنعد إلى ما استفسرت عنه

بديهي اني اخبرت شقيقي الآخرين بهذا الموضوع أيضاً ، ولكنهما لم يحملاه محمل الجد ، كموقفي بها . وقد اجمع رأينا على ضرورة استقبال الأسرة لمارتين ، وعلى ضرورة استدعاء مستشارنا القانوني مستر ويبورن ، للاشتراك معنا في استقبالها والاجتماع بها .

غير اننا أرجأنا الاتصال به لآخر لحظة ، وما كدنا أن نفعل ذلك حتى وردت برقية اعتذار مارتين .

ـ ألم تتخذي أية خطوة بعد ذلك ؟

ـ اجل .. حررت رسالة بعنوانهـــا في لندن ، ولكنني لم أتلق رداً ما .

ـ وما هو رأيك في الموضوع برمته ؟

ـ لست أدري ، إن الموضوع بأسره يبعث على الحيرة .

ـ ترى ، ماذا خلف كل هذا من انطباعات في نفسك ؟ هل كنت تؤمنين باصالة الرسالة ، ام هل كنت من رأي والدك واخوتك ؟ وما رأي زوج شقيقتك ؟

ـ كان يرى ان الرسالة حقيقية .

ـ وأنت .

ـ لم اكن واثقة من رأي معين .

ـ وماذا كان شعورك الخاص ، على فرض ان الفتاة حقاً كانت أرملة اخيك ادموند ؟

ـ لقد كنت احب ادموند ، وكان اخي الحبيب إلى قلبي ، وكنت ارى في الرسالة انها الرسالة التي تبعث بها فتاة كمارتين في مثل هـذه الظروف ، وكان تسلسل ما ورد فيها من احداث طبيعياً منطقياً .

فقد كان من المسلم به ان الفتاة بعد ان وضعت الحرب اوزارها تزوجت

من رجل آخر عاشت في حمايته هي وطفلها ، ثم كان ان توفي هذا الزوج او هجرها ، فرأت ان تتصل باسرة ادموند كما اراد لها ذلك ، هذا هو رأيي في الرسالة .

أما هارولد فكان في ريبة من امر هذه الرسالة ، ولا يستبعد ان تحل امرأة مدعية محل مارتين ، بعد ان وضعت يدها على جميع الوقائع . وتجمع لديها من المعلومات ما يعينها على تحرير تلك الرسالة ، وكان علي ان اسلم بوجهة نظره مؤقتاً ، إلى ان ..

- إلى ان تتأكدي من كل ما تضمنته من وقائع ؟

- اجل ، هذا مـا اردت قوله ، ولكم يسعدني ان اتحقق من ان لادموند ولداً .

- ان الرسالة تبدو في ظاهرها حقيقية ، غير ان ما يدعو إلى التساؤل وما اعقبها من تطورات بدأت برحيل مارتين كراكنثورب المفاجىء الى باريس

ثم ما كان من عدم اتصالها بك فيما بعد ولقد كان ردك على رسالتها رداً رقيقاً ، ابديت فيه استعدادك للترحيب بها . فلماذا لم تكتب لك بعد عودتها الاضطرارية الى فرنسا ؟

ولقد تبادر الى ذهني ان اتصالك بسلر ويمبورن وما قام به من تحريات بعد هذا ، يحتمل ان يكون قد افزعها ، مما يرجح معه انها مدعية .

ولكنك قلت ان هذا الاتصال لم يتم ، مما استتبع استبعادي لهذا الخاطر ثم دار بخلدي ان احداً من اخوتك قد سلك مسلكاً لمست منه انها ستواجه ما لا قبل لها به ، وما لم يكن في حسبانها ، فـآثرت ان تلوذ من الغنيمة بالاياب .

ناهيك بما سيثار من اعتراضات قانونية من كل ذي مصلحة ، على توريث الصبي الذي لا بد وان يكون قد تجاوز الخامسة عشرة من عمره ، اليس

كذلك ؟ علاوة على ان هذا الصبي بناء على ما علمت به ، سيكون هو الوارث لقصر روذر فورد هول .

هـذا صحيح ! هل تعرف ان شيئاً من هـذا القبيل لم يتبادر الى ذهني ؟

– مهما يكن من امر ، فقد احسنت صنعاً بمجيئك واطلاعي على كل ما تعرفين ، وسوف اقوم بتحقيق الموضوع وتقصي الحقائق ، وإن كنت ارجح انه لا يوجد ثمة صلة بين محررة الرسالة وبين المجني عليها التي وجدت محشوـــا بالتابوت الأثري .

ونهضت إيما في حال غير ما اقبلت به قائلة :

– اني جد مسرورة بمصارحتك بما كان يقض مضجعي واني لشاكرة لك عطفك .

ونهض كرادراك يودعها الى باب غرفته ثم رجع ليتصل تليفونياً بالمفتش ويندرول ..

وقال له :

– بوب ، لدي عمل لك . عليك بالذهاب الى ١٣٦ . الفرز كريسنت . رقم ١٠ .

خذ معك الصور الفوتوغرافية لقتيل روذرفورد هول ولتحاول جمع المعلومات عن امرأة تدعى مسز كراكنثورب - مسز مارتين كراكنثورب -- التي كانت تقيم بهذا العنوان او تتخذ منه عنوان مراسلة ، فيما بين ١٥ ديسمبر و ٣١ منه .

– حسناً يا سيدي .

واكب كرادوك على الجهاز ما بين يديه من اعمال اخرى

وتوجه بعد الظهر لزيارة صديق يعمل مندوباً للفرق المسرحيـــة ، ولم تسفر تحرياته عن شيء .

وعند عودته إلى مكتبه في المساء ..

وجد برقية من باريس هذا نصها :

« قد تنطبق الأوصاف الواردة منك على جثة ستراافنسكا من فرقة باليه مارتيسكي يستحسن حضورك ..

ديسان ، مأمور الشرطة »

وطاب كرادوك خاطراً لما تضمنته هذه البرقية ، وقرر ان يستقل قطار الليل الى باريس !

الفصل الثالث عشر

قالت المس ماربل لايما كركنثورب :

– شكراً جزيلاً لدعوتك لي لتناول قدح الشاي .

وكانت المس ماربل، مهيبة الطلعة وخير مثل للسيدة المحترمة في هذه السن المتقدمة التي توحي بالاتزان والحكمة .

وكان وجهها مشرقاً مضيئاً ، وهي تتأمل ما حولها وتتطلع الى هارولد كراكنثورب في حلته الزرقاء . .

وإلى الفريد ، الذي يقوم على خدمتها ، ويقدم اليها الشطائر مبتسماً . .

وإلى سيدريك في حلته غير الأنيقة .

وإلى إيما التي أجابتها في رقة وأدب :

– قد أسعدنا قدومك ، وقبولك لدعوتنا .

ولم يكن في المجلس ما ينبىء عما دار من أحاديث ، بعد ساعة الغداء .

حينما قالت ايما :

– رباه !. لقد نسيت . حيث كنت قد أخبرت المس

ايلزبارو ، أن في استطاعتها دعوة خالتها ، لتناول الشاي معنا ، عصر اليوم

ويسرع هارولد بالتعقيب قائلا :

– دعينا منها . ما زال لدينا الكثير مما يجب أن نتبادل الحديث فيه ، لا نريد أغراباً في بيننا .

ويقول الفريد :

– فلتتناول الشاي في المطبخ مع قريبتها .

وتنهره ايما بقولها :

– لا أستطيع ان أسمح بشيء من هذا القبيل ، إنه لمسلك شائن يجافي الذوق .

أما سيدريك فكان يرى :

– فلتحضر ، ربما استطعنا ان نعرف منها الكثير بخصوص لوسي إني أريد ان أعرف المزيد ، عن هذه الفتاة ، التي لا أثق فيها كل الثقة .

ويعقب هارولد باتزانه المعهود .

– قد تحريت أمرها ، وسمعت عنها كل خير . وكان قيامي بهذا بعد اكتشافها أمر الجثة التي أثار ريبتي فيها .

وينبري الفريد قائلا :

– ليتنا نتوصل ، إلى معرفة ، من عساها أن تكون ، الجني عليها .

ويسرع هارولد بقوله محتداً :

– إيما ، أريد ان أصارحك القول بأنك قد جافيت الصواب ، بذهابك إلى الشرطة والإفصاح عن رأيك ، بأن الجني عليها قد تكون صديقة أدموند الفرنسية .

الأمر الذي سوف يحدو بهم الى الاقتناع بأنها قد قدمت لزيارتنا وان واحداً منا قد قتلها .

– كلا ، كلا ، لا تبالغ فيما تفترض

ويؤيد الفريد شقيقه بقوله :

– إن هارولد على حـــق فيما رأى . ترى ما الذي حملك على سلوك هذا المسلك ؟ وقد أصبحت أشعر بتعقب رجـال المباحث لي ، أنى ذهبت .

وينضم سيدريك إلى أخيه معقباً :

– لقد أشرت عليها بعدم القيام بشيء من هذا القبيل ، ثم جاء كيمـبر فأيدها فيما تزمع القيام به .

ويعود هارولد ليقول غاضباً :

– ليس له أن يدس أنفـه فيما لا يعنيـــه ، هذا الموضوع ، من شأننا نحن

وضاقت ايما ذرعاً بهذه المناقشة فانبرت قائلة :

– هلا أمسكتم عن هذا الجدل العقيم . في الواقع انني جد سعيدة بزيارة هذه السيدة لنا .. إنه من الخير لنا ان نكف عن هذا الترديد الممل لبعض النقاط .

وغادرت ايما الغرفة ..

وبعد انصرافها انبرى هارولد قائلا :

– هذه الآنسة ، لوسي ايلزبارو ، كما قال عنها سيدريك ، التي بلغ بها فضولها ، حـد التفتيش في المخزن ، والعبث بالتابوت ، يحيرني أمرهـا .

وأرى لزاماً علينا ان نتخذ بعض الخطوات حيال هذا الوضع . إن موقفها فيما أرى كان موقفاً منفراً ساعة الغداء

قال الفريد :

– دعهـا لي ، سأحاول الكشف ، عمـا اذا كانت قد ألمت بشيء جديد .

– ترى ما الذي دعاها لتفتح هذا التابوت ؟

وكان رد سيدريك :

– ربما لم تكن هذه الفتاة هي لوسي ايلزبارو شخصياً .

– إنه لرأي له اعتباره .

وتبادل الأشقاء نظرات قلقة متسائلة .

* * *

كان هذا المشهد بعد الغداء ، وقبـــل ان تذهب لوسي لتعود بمس ماربل ، في الساعـــة المحددة لتناول الشاي ، وتودعها المقعد الوثير ، بجوار المدفأة .

وها هي الآن تتطلع مبتسمـــة لألفريد ، الذي كان يقدم اليها بعض الشطائر ، وتستفسر منه عن نوعها ، مبررة بأنها ستبلغ التسعين من عمرها في العام التالي، وإن عليها ان تتخير ما يناسبها من الوان الطعام ، ثم استدارت إلى مضيفتها :

– يا له من قصر جميل ، يضم ويحوي كل ما هو جميل ، فقد أحسن جدك اختيار رياشه وانتقاء أثاثه

وأجمل من هذا كله اجتماعكم فيه كأسرة واحدة قلما تجدين من الأسر من يجتمع أفرادها هكذا .

– ولكننا لا نقيم هنا جميعاً . إن اثنين من أشقائي يقيمان في لندن والثالث

في ايفيزا حيث يكب على الرسم .

– إن الرسامين مولعون بالإقامة في الجزائر ، من هذا الطراز جوجان وإن كنت لا أميل إلى اقتناء تلك اللوحات ، التي تعنى بتصوير نساء تلك الجزر .

وكانت تتطلع إلى سيدريك ، وهي تتحدث برأيها هذا . غير ان سيدريك ، لم يعقب بشيء على ما يسمعه من هذا الحديث ، بل انبرى يقول لها :

– هلا حدثتينا بشيء عن طفولة لوسي .

فابتسمت قائلة :

– قد كانت لوسي دائماً ممتازة في كل أطوار حياتها ، نعم ، تلك هي الحقيقة ، أرجو ألا تقاطعيني .. وهي بارعة في علم الرياضيات ، كما انها سريعة البديهة دقيقة الملاحظة .

* * *

وهكذا استطردت المس ماربل تعدد مناقبها ، ولم يقطع عليها تيار حديثها سوى دخول بريان والصبيان .

وفي أثرهم أقبل الدكتور كيمبر ، الذي قال بعد ان تم واجب التعارف بينه وبين المس ماربل :

– يا ايما أرجو ألا يكون والدك قد غادر فراشه ؟

– كلا ، في الواقع انه متعب بعض الشيء .

فابتسمت المس ماربل قائلة :

– أم لعلها ذريعة لتجنب الزائرين .. وانــــه ليذكرني بوالدي ،

ي كان يفعل ذلك ، ويسأل والدتي ان تحمل اليه الشاي ، في غرفة
اتبه .

وبدأت ايما تجيب قائلة :

— أرجو ألا يدور بخلدك .

غير أن سيدريك قاطعها قائلا .

— إنه يفعل هذا دائما ، حينما يحضر أبناؤه الأعزاء وتجتمع العائلة ، هذا
دأبه ، إنها حالة نفسية .

اليس كذلك يا دكتور ؟

وأجاب دكتور كيمبر :

— إن الحالات النفسية بخير ما تركت الى علماء النفس . إن المشكلة في ان
مدع يفرض نفسه عالما نفسيا .

وكثيراً ما أجلس مستمعاً إلى ماضاي وهم يقومون بتشخيص ما بي ، قبل
أجد الفرصة لأسمعهم رأيي

شكراً ، يا ايما .

لا بأس بقدح آخر ، لم يكن لدي متسع من الوقت ، لتناول طعام
داء .

فردت المس ماربل مجاملة ،

— إنها حياة الأطباء . حياة التضحية والجهد النبيل .

— لكن الأطباء لا يلقون ما هم جديرون به من تقدير ، لا من الحكومة ،
من المواطنين . .

ايما ، إن هذه الفطائر رائعة !

— انها صنع مس ايلزبارو .

— ولكن فطائرك لا تقل عنها روعة .

— الن تعود والدي ؟

ونهضت يتبعهما كيمبر .

وتبعتهما مس ماربل بعينيها قائلة :

– أرى أن مس كراكنثورب شديدة الحنو على والدها .

ورد سيدريك قائلا :

– كان الله في عونها .

ويسرع هارولد باصلاح ما فسد :

– إن والدي يحلها من قلبه مكاناً ممتازاً ، وهي الآن سيدة .

قال سيدريك :

– قد ولدت إنما لتعيش عانساً .

فلمعت عينا مس ماربل ، ثم قالت :

– هل هذا هو رأيك ؟

فأسرع هارولد ينقذ الموقف قائلا :

– إن أخي كثيراً ما يلقي الألفاظ جزافاً ، دون ان يعني مفهومها الانتقاصي .

فقالت مس ماربل :

– لم أشعر بالاستياء ، كما قد يتبادر إلى ذهنك . وقد كنت اتساءل عما إذا كان مصيباً ، فيما يرى لأنني لا أعتقد ان مس كراكنثورب ستظل عانساً .

إنها من ذلك الطراز من النساء ، اللاتي لا يتزوجن في سن مبكرة ، ولكنهن يوفقن في زواجهن المتأخرة قليلا ، حيث يصبحن أتم نضجاً وأهلية .

ويفسر سيدريك رأيه بقوله :

– إن هذا لا يتوقع لها ، ما دامت تقيم هنا ، لا ترى أحداً ، ولا يراها أحد .

– وهل نسيت ان في مثل هذه الأنحاء ، فرص اللقاء ببعض رجال الدين والأطباء ؟

وراحت تجيل النظر في هدوء بين الجميع .

وكان واضحاً انها رددت على مسامعهم شيئاً لم يسبق ان تبادر إلى ذهنهم وانهم لم يطيبوا له خاطراً .

ونهضت مس ماربل عن مقعدها ، فسقطت منها حقيبة يدها وشاحها الصوفي .

وأسرع الأشقاء الثلاثة يلتقطون ما سقط منها .

فشكرتهم قائلة :

– لكم أشكر لكم عطفكم . نعم ، هذا هو وشاحي الأزرق . وإني لشاكرة لكم دعوتكم ..

قد كنت أصور لنفسي ما عسى ان يكون عليه منزلكم لكي أجلو لعيني الجو الذي تعمل فيه لوسي .

فرد سيدريك قائلا :

– إنه منزل اجتمعت له كل الامكانيات ، بما في ذلك جريمة القتل التي فرضت عليه .

فنهره هارولد غاضباً :

– سيدريك ؟

وابتسمت مس ماربل لسيدريك قائلة :

– أتعرف بمن تذكرني ؟ بتوماسي أيد الشاب ، ابن مدير البنك الذي أتعامل معه . انه يعمد دائماً لمثل ما تعمد اليه . وهو أسلوب غير ناجح في الدوائر المصرفية .

فكان ان أوفده والده إلى جزر الهند الغربية . وقد عاد الى الوطن بعد وفاة والده الذي ورث عنه ثروة طائلة .

وكانت فرصته المواتية ، إذ كان ممن يجيدون انفاق المال ، أكثر من إجادتهم لجمعه .

* * *

وعادت لوسي بمس ماربل الى منزلها .

وفي طريق عودتها برز لها طيف من ستر الظلام ووقف في طريق السيارة عندما كانت على وشك الاتجاه الى الدرب الخلفي . ورفع يده وعرفت لوسي فيه الفريد كراكنثورب .

وقال وهو يستقل السيارة :

– إن الطقس شديد البرودة : وقد خيل الي أن في المشى ما قد يبعث الدفء في بدني . هل اصطحبت السيدة الى منزلها ؟

– نعم بعد ان نعمت بهذه الزيارة .

– هذا ما لمسته منها . ان المتقدمات في العمر يجدن متعة في الحياة الاجتماعية مهما كانت مملة كئيبة . ولا أعتقد ان ثمة أكثر كآبة من روذرفورد هول .

إن أطول فترة أستطيع قضاءها هنا لا يمكن ان تتجاوز اليومين . لا أدري كيف تطيقين الحياة هنا .

– إني لا أجدها بهذه الصورة من الكآبة ، ثم ان فترة عملي هنا مؤقتة لن تطول .

– إنك أعلى كفاءة من ان تبذلي جهدك في الأعمال المنزلية .

– شكراً ، ولكنني أفضل الأعمال المنزلية ، على الأعمال المكتبية .

- وهذا هو شأني .. غير ان ثمة وسائل أخرى ، لكسب العيش .

كل الوسائل الشريفة متشابهة .

- كان في وسعك الانطلاق في عمل لحسابك الخاص، لا أن تعملي كأجيرة ، إن طاقتك أوسع مدى من هذا .

- ربما

- كم كان بودي أن تعملي معي ، فتستغلين مواهبك خير استغلال

- في بيع السبائك الذهبية مثلاً ؟

ليس الأمر كذلك على وجه التحديد إنها مجرد مخالفات بسيطة للقانون . كم كان يطيب لي ان تصبحي شريكتي في عملي . إنك فتاة رائعة .

- إنك تبالغ باطرائي

- فكري في عرضي . إننا سنحقق نجاحاً كبيراً . ان كل ما سيعوزنا هو رأس المال .

- يؤسفني انني لا أملك منه شيئاً .

- ليس هذا هو بيت القصيد من عرضي ، سيؤول لي مبلغ لا بأس به عن قريب إن والدي لن يخلد في الحياة . إنني سأرث ثروة محترمة بعد وفاته ماذا ترين ؟

- ما هي شروطك ؟

- الزواج مثلاً . وهذا من مآل كل فتاة . ثم ان شهادة الزوجة ضد زوجها لا يعتد بها .

لوسي ألا ترين اني همت بك حباً !

فضحكت وخلت ما بينها وبين ذراعه التي طوقها بها قائلة :

- لا يتسع الوقت لهذا . أمامي عشاء يجب ان أعده .
- إنتظر لترى بنفسك .

* * *

وأودعت لوسي السيارة في مكانها ، وأسرعت الى المطبخ رأساً ، وبعد قليل فوجئت بهارولد كراكنثورب يقبل قائلا :
- مس ايلزبارو هل يمكن ان أحدثك في أمر هام !
- اني في عجلة من أمري فلنرجىء الكلام لما بعد .
- بكل تأكيد . فليكن بعد العشاء ؟
- أجل .

وقدم طعام العشاء ، وصادف ما هو جدير به من تقدير ، وبعد أن فرغت لوسي مما بين يديها من عمل خرجت الى البهو حيث وجدت هارولد كراكنثورب في انتظارها .
- نعم يا سيدي ؟
- هل يمكن ان ننفرد في هذه الغرفة ؟

وفتح باب غرفة الاستقبال ، وتقدمها حيث تبعته ، ثم أوصد الباب من خلفها قائلا :
- اني راحل غداً صباحاً ، غير اني أردت ان أصارحك بشدة إعجابي بكفايتك
- شكراً يا سيدي .
- اني أرى انك تبددين مواهبك سدى .
- هل ترى ذلك ؟ أما أنا فلا .

« ومهما يكن من امر ، فإنه لا يبقى من هذا اللقاء عرض الزواج علي ، لأنه متزوج فعلا » .

هذا ما كان يجول في خاطر لوسي ، وهي تجلس في انتظار ما سيقوله لها .

– أرى بعد ما لمسته منك من إخلاص في خدمتنا إبان هذه الأزمة ، ان تحضري لزيارتي في لندن ، ويمكن ان تتصلي بي تليفونياً بواسطة سكرتيرتي لتحديد موعد حضورك . وفي الواقع ان الشركة في حاجة الى من هي في كفايتك . وسنبحث هذا الأمر حين مجيئك . وثقي سلفاً اننا سنمنحك مرتباً مجزياً

– شكراً ، سأفكر فيما عرضته علي .

– أرجو ألا يطول بك تفكيرك ، انها فرصة سانحة لفتاة مثلك تريد ان تشق طريقها في الحياة ، طابت ليلتك ، مس ايلزبارو ، وأرجو لك نوماً هادئاً .

وفي طريقها الى غرفة نومها التقت لوسي بسيدريك وهي ترتقي الدرج . وبادرها هو الآخر قائلا :

- لوسي ، لدي ما يجب ان أحدثك به .

– أتريد الزواج مني والسفر معك الى ايثيزا لأرعى شئونك ؟

وحملق سيدريك في وجهها دهشاً ، واكتسى وجهه بأمارات الفزع ، وهو يقول :

ان هذا لم يدر بخلدي لحظة ما

- آسفة . أعتذر عن خطئي .

ان كل ما كنت أبغيه منك ان أعرف ما إذا كان لديك جدول توقيت منزلي ؟

- أوهذا كل ما في الأمر ؟ تجد ما تبغيه فوق خوان البهو .

ـ لا يجب ان يتبادر الى ذهنك ان كل من يريد التكلم معك يود الزواج منك ، ان لهذا الشعور في حالة استفحال أمره ، تعبيراً تعرفينه جيداً ، انك آخر فتاة أفكر في الزواج منها .. آخر فتاة في العالم .

ـ حقاً ؟ ربما كنت خيراً لك كزوجة أب ؟

ـ ماذا ؟ ماذا تقولين ؟

وحملق سيدريك في وجهها وقد عقدت الدهشة لسانه ، فقالت له لوسي ، وهي تواصل طريقها إلى غرفتها :

ـ لقد سمعت ما قلت جيداً .

وصفقت الباب .

الفصل الرابع عشر

كان ديرموت كرادوك وثيق الصلة بأرمان ديسان ، المفتش بادارة الأمن العام في باريس . وكان الرجلان قد التقيا من قبل في بعض المناسبات ، وأنتج تعاونهما معاً خير الثمرات . وكان مما ساعد على تفاهمهما ، إتقان كرادوك للغة الفرنسية ، مما كان من شأنه ان ييسر سبيل التفاهم بينهما ، وقال ديسان محذراً :

— إنها مجرد وجهة نظر ، لدي صورة لمجمع راقصات فرقة البالية . أنها الرابعة من اليسار هل توحي اليك بشيء .

وقال المفتش كرادوك :

— إنها لم توح إلي بشيء في الواقع ، إذ ان التعرف على إمرأة قتلت خنقاً ليس من الأمور اليسيرة ، علاوة على أن فتيات هذه الصور الفوتوغرافية قد أسرفن في زينتهن .

وأردف قائلا :

— من المحتمل أن تكون هي بذاتها . هذا كل ما أستطيع قوله الآن . ترى من هي ؟ وماذا تعرف عنها ؟ إنها نكرة من النكرات ، راقصة مغمورة . كما ان فرقة باليه ماريتسكي من الفرق الصغيرة وهي تقدم عروضها

على مسارح الضواحي متنقـلة بينها .. ولا تضم هـذه الفرقة نجوماً ، أو راقصات معروفات .. ولكنني سأصطحبك إلى مدام جوليبيت مديرة الفرقـة .

وكانت مدام جوليبيت مثالاً للمرأة الفرنسية العاملة التي ترمض عيناها ذكاء . وبادرتها صائحة :

– لست أحب رجال الشرطة ! إذ لا هم لهم سوى خلق المتاعب والمضايقات .

وعقب ديسان قائلا في صوت هادىء :

– كلا ، كلا ، يا سيدتي . لا يجمل بك أن تقولي هذا ، متى سببنا لك ضيقاً أو حرجاً ؟

– وهل نسيت حادث تلك الفتاة الحمقاء التي تعاطت السم ، لأنها كانت مدلهة في حب قائد الفرقة الموسيقية ، الذي لم يعرها اهتماماً . لقد أقمت الدنيا وأقعدتها بسبب هذا الحادث مما أساء إلى فرقتي كثيراً .

– بل قد كان لهذا الحادث رد فعل عكسي ، حيث تقاطر الناس لمشاهدة هذه الفرقة التي رددت الصحف اسمها لمناسبة هذا الحادث. والآن ، فلندع هذا الموضوع إلى موضوع حنة سترافنسكي .

– وماذا تريد ان تعرف عنها ؟

– هل هي روسية ؟

– كلا لعلك تستفسر عن ذلك بسبب اسمها ؟ كلهن يتسمين باسماء لا تمت إلى جنسيتهن بصلة ، وقد كانت من فتيات الصف الثاني ، ولم تكن بارعة في الرقص ، كما لم تكن رائعة الجمال .

– وهل هي فرنسية ؟

– ربما ، وقد كانت تحمل جوازاً فرنسياً ، غير اني علمت منها بأن لها زوجاً إنجليزياً .

وانبرى كرادوك يسألها :

– هل قالت لك انها متزوجة من انجليزي ؟ هل هو على قيد الحياة أم . ؟

– أم متوفي . قد يكون كذلك ، وقد يكون هجرها، أنى لي ان أعرف هذا ؟ هاته الفتيات لهن متاعبهن دائماً مع الرجال

– متى رأيت الفتاة لآخر مرة ؟

– إني أصطحب الفرقة الى لندن لستة أسابيع ، ونقوم بعرضنا على مسارح توركاى ، وبوغاوث ، ومالسبتون وغيرها ، ثم نقفل راجعين إلى فرنسا .

ولكن حنة لم تعد معنا . وقد بعثت إلي برسالة انها ستترك عملها بالفرقة وانها ستقيم مع أسرة زوجها . غير اني لا أصدقهن ، وأرجح انها قد التقت برجل آخر .

وأومأ المفتش كرادوك برأسه موافقاً .

واستطردت مدام جوليبيت تقول :

– لا يعنيني غيابها في كثير او قليل . إذ يوجد غيرها كثيرات من نفس المستوى . وكلهن سواء في علاقتهن بالرجال .

– ومتى كان ذلك ؟

– حينما عدنا الى فرنسا ؟ كان ذلك ، نعم . . في يوم الأحد قبل عيد الميلاد ، وكانت حنة قد تركت العمل قبل ذلك بيومين او ثلاثة . لست أذكر على وجه التحديد ، غير اني أذكر أنها لم تشترك في آخر عرض للفرقة

– وقد كان في ذلك مضايقة لك

– قلت لك انها لم تكن من راقصات الدرجة الأولى ، وليس من شك انها تخلفت عن عملها لتقضي عيد الميلاد مع رجل التقت به . وليس هذا من

شأني ، وكما قلت لك ايضاً ان غيرها كثيرات . ترى فيم بحثك عنها ؟ هل تلقت ميراثاً غير منتظر ؟

– كلا . اننا نقوم بتحرياتنا لأننا نعتقد انها قتلت .

– لا أستبعد ذلك ! آه لقد كانت كاثوليكية تؤم الكنائس في أيام الآحاد، ولعلها كانت تمثل أمام كرسي الاعتراف .

– ألم تفض اليك بأن لها ولداً ؟

– ولد ؟ أتعني ان لها ابناً ؟ هذا ما أستبعده . إن من كن على طرازها يحرصن على عدم الانجاب ، ولديهن وسائل خاصة ، ويعرفن الى اين يذهبن ، كما يعرف المفتش ديسان .

– ربما كان لها ابن ، قبل العمل بالمسرح . إبان الحرب مثلاً .

– أبان الحرب !! هذا ممكن . غير اني لا أعرف شيئاً عن هـــذا الموضوع .

– من عساها ان تكون ، صديقتها المقربة ، من بين سائر الفتيات ؟

– لم يكن لها صديقة مقربة ، وإن كانت أكثر اتصالاً بفتاتين أو ثلاث من زميلاتها .

ولم يعد لدى مدام جوليت معلومات أكـــثر مما أدلت به . وبعرض علبة البودرة عليها ، قررت بأن حنة كانت تقتني واحدة مثلها ، شأنها في هذا شأن سائر الفتيات وهي لا تعرف ما إذا كانت حنة قد اشترت معطف الفراء في لندن أم لا .

وأردفت قائلة :

– أعكف على الاضطلاع بجميع الأعمال الإدارية والفنية للفرقة مما لا أجد معه الوقت لملاحظة ما ترتديه الراقصات .

وبعد انتهاء استجواب مدام جوليت ، قاما باستجواب الفتيات اللاتي

أرشدتها اليهن .

واتفقت اثنتان منهن على ان حنة كانت لا تتحدث كثيراً عن نفسها ، وإنها ان فعلت هذا ، كل ما تتحدث به كذباً .

– لقد كانت مدعية ، تخترع القصص عن نفسها ، زاعمة انها كانت عشيقة لأحد كبار اللوردات ، او رجـال المال البريطانيين ، أو عن اشتراكها في حرب المقاومة ، أو عن فرص النجوم التي سنحت لها في هوليود .

وقالت عنها فتاة أخرى :

– أعتقد انها كانت بوهيمية الطابع وقد التحقت بالعمل في فرقـة الميه ، لأنه قد خيل اليها انها قد تحقق ميولها الرومانتيكية وما كانت تجد في واقع حياتها ما يشفي غليلها .

وبينما كنا في لندن ، كانت تلمح الى ما عرضه عليها أحد الأثرياء ، ن اصطحابها في رحلة حول العالم .

وقالت فيما قالت انها كانت ستسافر الى اسكتلندا لتقيم مع لورد ثري ، حيث تقضي أوقاتها في الصيد .

وما كان في كل هذه الأقوال ما يعين على جلاء ما غمض . وما كانت هذه الأقوال بأكثر منها مزاعم فتاة محترفة للكذب .

فما كانت حنة ستراففسكا بالمقيمة مع أحد لوردات اسكتلندا ، او بالتي ،وب العالم في رفقة ثري آخر .

وما كانت هذه الأقوال ليستشف منها ما يحمل على الاقتناع بأن جثتها هي ي عثر بها في هذا التابوت الأثري برودرفورد هول . .

ان تعرف مدام جوليبت والفتيات على صورة الجثة لم يكن قاطعاً ، لأنهن دمن على ان الصورة قريبة الشبه بحنة ، وإن لم يجزمن بأنها لها ، لتعذر هذا ،يهم بسبب انتفاخ الوجه .

ان الواقعة الوحيدة التي تحددت وكانت موضع الاجماع ، هي أن حنة ستارافنسكا ، كانت قد قررت في ١٩ ديسمبر ، ألا تعود أدراجها إلى فرنسا .

وانه بتاريخ ٢٠ ديسمبر ، كانت امرأة ، قريبة الشبه بها ، تستقل قطار الساعة ٥٤ : ٤ ، إلى براكهامبتون ، حيث قتلت خنقاً في هذا القطار .

فإذا ما كانت الجني عليها التي عثر على جثتها في التابوت هي حنة ستارافنسكا فأين توجد حنة الآن ؟

كان تعقيب مدام جوليبيت على هذا السؤال بسيطاً هادئاً :

– مع رجل .

قد يكون في هذا التعقيب الإجابة الصحيحة على السؤال الحائر . كما يمكن أن ينظر بعين الاعتبار إلى ما ورد عرضاً على لسان مدام جوليبيت عن زوج حنة الانجليزي .

ترى ، هل يكون أرموند كراكنثورب هو هذا الزوج ؟

يبدو ان هذا من الاحتمالات المستبعدة اذا ما وضع في الاعتبار صورة حنة على لسان صديقاتها ان الأكثر احتمالاً هو ان كون حنة قد تعرفت بالفتاة مارثين في يوم من الأيام وأحاطت ببعض تفصيلات حياتها . وقد تكون حنة هي محررة تلك الرسالة الى ايما كراكنثورب واذا ما صح هذا فلا يستبعد ان تكون حنة قد آثرت الاختفاء أو ما تكون قد لمسته من تقصي حقيقة امرها . ترى اين هي الآن ؟

* * *

وقبل رحيل كرادوك عن باريس تباحث مع ديسان في موضوع الفتاة مارتين .

وكان ديسان اميل الى الاتفاق مع زميله الانجليزي في الرأي بأن هذا الموضوع ليس له علاقة بموضوع الجثة التي عثر عليها في التابوت

ومع ذلك . فالواجب يقضي بتقصي كل ما يتصل بالموضوع من حقائق .

وأكد لكرادوك ان ادارة الأمن العام ستبذل أقصى ما في وسعها لنكشف عما إذا كان ثمة سجل زواج بين الملازم أدموند كراكنثورب من الفرقة الرابعة وبين فتاة فرنسية تدعى مارتين في وقت مقارن لسقوط دنكرك .

واحتفظ لنفسه برأيه ان التوصل الى رد قاطع هو امر مشكوك فيه لأن المنطقة التي يقال بأن الزواج قد تم فيها لم تحتل بواسطة الألمان بل تعرضت للدمار إبان الغزو .

غير انه ودع كرادوك قائلا :

- إطمئن .. اي زميلي العزيز .. فإننا باذلون أقصى ما في وسعنا .

ووجد كرادوك عند عودته ان الرقيب ويذرول في انتظاره ليرفع اليه تقريره

- العنوان ملائم والمكان محترم ١٢٦ الفرز كريسنت .

- هل تعرف عليها أحد .

- كلا لم يتعرف على صورة الجثي عليها احد .. وما كان هذا في وسعهم بعد مضي شهر وإزاء تردد الكثيرين على هذا المكان . انه منزل للطلبة .

- ولم لا تكون قد اقامت في هذا العنوان تحت اسم آخر ؟

– لندع الاسم . انهم لم يتعرفوا على الصورة . ولقد طفنا بالفنادق ولم نجد اسم مارتين كراكنثورب مسجلا بأي منها . وأثر مكالمتك التليفونية من باريس قمنا بالبحث عن اسم حنة سترافنسكا . ووجدناه مسجلا في احد فنادق الدرجة الثالثة بجي بروك جرين – المزدحم بالمسارح .. وقد غادرت الفندق ليلة الخميس ١٩ ديسمبر بعد انتهاء العرض . وهذا كل ما توصلنا اليه .

وأومأ كرادوك برأسه . ثم طالبه بمزيد التحريات على اساس جديد وان كان لا يرجو الكثير منها .

وبعد انصراف الرقيب اتصل بمكتب ويمبورن وهندرسون وكارستيرز تليفونياً لتحديد موعد مع مستر ويمبورن

* * *

وأدخل في الموعد المحدد الى غرفة مكتب مستر ويمبورن الذي كان جالساً الى خوانه القديم الطراز .. وحوله كتب القانون وملفات القضايا .

وتطلع مستر ويمبورن الى زائره بعين محامي العائلة الحذرة إلى رجل الشرطة القادم في احد شؤونها :

– ماذا اقدر ان اقوم به يا عزيزي المفتش ؟

ودفع كرادوك بمكتوب مارتين عبر الخوان قائلا :

– هذا المكتوب .

غير ان مستر ويمبورن لمسها كارهاً دون ان يلتقطها قائلا .

– نعم . نعم . لقد تلقيت مكتوب المس ايما كراكنثورب امس

صباحاً تحيطني فيها خبراً بزيارتها لسكتلانديارد وبجميع ملابسات هذه الزيارة . وإني لأتساءل عن السبب في عدم عرض هذا المكتوب علي بمجرد وصولها كان يجب اطلاعي عليها فوراً .

وبعد ان طيب المفتش خاطره بما يكفي لتهدئة ثائرته سمعه يقول في صوت متهدج :

– إني لا أعرف شيئاً عن موضوع زواج ادموند .

-- أعتقد انه في وقت الحرب . .

– وقت الحرب ؟. نعم ! وقد تصادف وجودنا في مبنى آخر غير هذا عند اندلاع نار الحرب ، وكان المنزل المجاور هدفاً لإصابة مباشرة ، مما أسفر عنه إتلاف الكثير من ملفاتنا ، بعد ان كنا أودعنا الوثائق ذات الأهمية الخاصة في مكان بالريف محافظة عليها

وكان والدي تولى أعمال أسرة كراكنثورب حينذاك . وقد توفي والدي منذ ستة أعوام . ويحتمل ان يكون قد أحيط علماً بموضوع زواج أدموند المزعوم وإن كان هذا الزواج فيما يبدو ، لم يقرر له ان تتم فصوله والحق أقول لك ، إن القصة بأكملها غير مقنعة . ظهور الزوجة بعد كل هذه السنين لتطالب بحقها وحق ابنها الشرعي . إن في الأمر سراً ، ما هو دليلها بودي لو عرفت ذلك ؟

– الحق معك يا سيدي ، ترى ماذا سيكون وضعها لو صحت أقوالها أو مزاعمها ؟

– انها تريد بظهورها على المسرح أن تحصل من مال كراكنثورب على ما تبغي من مال لها ولولدها .

-- أعني ماذا سيكون أمر وضعها القانوني مع التسليم بأن لديها دليلا على صحة ما تقول ؟

– إذا ما قدرت ان تثبت بنوة الصبي لأدموند كراكنثورب ، من الناحية

الشرعية فإن هذا الصبي سيرث نصيبه الذي نص عليه في وصية كراكنثورب الجد ، بعد وفاة كراكنثورب الأب ، علاوة على ان قصر روذرفورد هول سيؤول اليه بحكم انه ابن الولد الأكبر .

- هل يوجد من يطمع في ان يؤول القصر اليه ؟

- ليقوم به ؟ كلا بكل تأكيد ، ولكن القصر بملحقاته وبما حوله من أراض يا سيدي المفتش يساوي مبلغاً ضخماً من المال . ان القصر وحده يعد تركة محترمة . محترمة جداً .

- اعتقد انك قلت لي انه في حالة وفاة كراكنثورب الأب يؤول القصر وملحقاته إلى سيدريك ؟

- نعم بصفته الابن الأكبر على قيد الحياة .

- إن سيدريك كما فهمت لا يعنيه المال في كثير أو قليل ؟

- حقاً ؟. ومن ذا الذي لا يعنيه المال ؟. وهل في الدنيا من ينطبق عليه هذا القول . أنا شخصياً ، لم يقدر لي ان التقي بمثل هذا الرجل

- لقد أزعج هذا المكتوب كلا من هارولد والفريد .

- قد يكون هذا صحيحاً ، ولم لا ؟

- لأنها إن صحت لأنقصت مبلغاً من ميراث الجد الأكبر .

- إن النقص الذي سيعتري كل نصيب غير جسيم .

- بمعنى انه لن يكون دافعاً كافياً للقتل ، اليس كذلك ؟

- ثم اني أعتقد ان حالتهما المالية سيئة .

- إذن ، فتبعاً لهذا الخط ، كنتم تواصلون تحرياتكم . أجل ، إن الفريد في أسوأ حال . أما هارولد ، فقد تعرض لأزمة مالية خانقة ، في هذه الأيام .

- على الرغم مما يبدو به من رواج مالي ؟

– مظاهر . مجرد مظـاهر ! ولكن مهما يكن من أمر ما يجتـازه هارولد من ضائقة مالية ، فإنه ليس بالرجل يقدم على قتل أرملة أخيه . ثم أن كراكنثورب الأب ما زال على قيد الحياة ، وموته هو المخرج الوحيد لأفراد العائلة من أزماتهم .

ولذلك ، تراني لا أتبين إلى أي مدى تنتهي بك نظرياتك ، وماذا ترمي اليه منها . وأسوأ ما في الموضوع كله ، ان المفتش كرادوك ما كان واثقاً من شيء .

الفصل الخامس عشر

كان المفتش كرادوك قد حدد موعداً مع هارولد كراكنثورب لزيارته في في مكتبه .

وفي الوقت المعين ، كان كل من المفتش كرادوك والرقيب ويدرول يعلنان للسكرتيرة بمجيئهما .. وكان المكتب في الطابق الرابع من إحدى بنايات العاصمة الكبيرة . وكان كل ما في المكتب ينبيء عن النجاح والازدهار .

وتقدمتهما السكرتيرة الى مكتب هارولد كراكنثورب الخاص ، حيث كان يجلس رافع الرأس شامخاً بأنفه . لا يبدو عليه ما يتفق وتحريات مفتش المباحث عن حقيقة وضعه المالي المتدهور .

وأحسن الرجل استقبال الزائرين قائلاً :

– وأرجو أن يتحقق ظني بأنك تحمل الينا أنباء جديدة .

– أخشى ألا أحقق رجاءك .. إن ما أتى بي بعض اسئلة أرغب في توجيهها .

– أو ثمة أسئلة لم توجهها بعد ؟ لقد أجبنا على كل مـا دار بخلدك من أسئلة ..

– أن الأسئلة لا تنتهي إلا بانتهاء القضية التي أثارتها .

– حسنا ، إلي بها .

– أرجو أن أعرف منك ، على وجه التحديد ، ماذا كنت تفعل بعد ظهر ومساء العشرين من ديسمبر الماضي فيما بين الساعة الثالثة مساء ومنتصف الليل .

وصعدت الدماء إلى وجه هارولد كراكنثورب :

– إن توجيه هـذا السؤال الذي يظهر من الأمور الشاذة . بودي لو أعرف ، ماذا يعني السؤال عن تحركاتي في هذا اليوم ؟

وابتسم كرادوك ابتسامة رقيقة قائلا :

– انه يعني انني أحب أن اعرف اين كنت فيما بين الساعة الثـالثة مساء ومنتصف ليل يوم الجمعة العشرين من ديسمبر .

– لماذا ؟

– لأن في معرفة هذا ما يعيننا على تضييق نطاق البحث .

– تضييق نطـاق البحث .. إذن ، فلديك المزيد من المعلومـات الأخرى ؟

– إننا في طريقنا إلى تركيز أبحاثنا .

– إرى انني غير مجبر إلى الاجابة على أسئلتك في غـير حضور مستشاري القانوني ..

– هذا مرجعه اليك ، بكل تأكيد ، ومن حقك عدم الاجابة بدون حضور محاميك .

– فلنكن اكثر صراحة هل افهم من قولك هذا انك تحذرني بوسيـلة أو باخرى ؟

– كلا . لم أعن شيئاً من هذا القبيل . إن مـا اوجهه اليك من اسئلة اوجهه الى غيرك . ليس فيما يدينك شخصياً . ان هي إلا غـاية

لايضاح بعض النقاط بقصد التركيز ليس غير .

- حسناً ، ان كان الأمر كذلك ، فليس لدي مانع من التعاون معكم ، والاجابة على أسئلتك تتطلب مراجعة دقيقة ، وفي هذا يمكن أن استعين بمس اليس سكرتيرتي .

وبعد اتصال تليفوني موجز .. أقبلت السكرتيرة تحمل المفكرة في يدها .

وقدمها اليهما قائلا :

- سكرتيرتي الخاصة ، مس اليس ، المفتش كرادوك ومساعده . يود المفتش لو عرف تحركاتي بعد ظهر ومساء يوم الجمعة ٢٠ ديسمبر .

وبعد أن القت نظرة على المفكرة ..

قالت :

- كنت بالمكتب صباح يوم ٢٠ ديسمبر ، مجتمعاً بمستر جولدي ، ثم تناولت طعام الغداء مع اللورد فوتفيل ببيركلي ، وعدت للمكتب حوالي الساعة الثالثة ، وقمت باملاء اثنتي عشرة رسالة ثم غادرت المكتب إلى صالة فراد سوثبي لشراء بعض المخطوطات التي كانت ستعرض للبيع هناك ، ولم تعد في المساء إلى المكتب .

غير انه كان لدى مذكرة بحضورك مأدبة العشاء التي اقيمت بنادي كاترنج مساء هذا اليوم .

- شكراً ، مس اليس ..

وانسحبت من الغرفة ..

وقال هارولد :

- لقد استعدت لذاكرتي كل شيء ، لقد توجهت إلى قاعة سوثبي ، غير ان الأسعار ارتفعت إلى ارقام خيالية .

ثم تناولت قدحاً من الشاي في مقهى راسل بشارع جيرمين وبعد ذلك

عدت إلى المنزل رقم ٤٢ بحدائق كارديجان حيث أقيم .

ثم حضرت مأدبة عشاء نادي كاترنج بقاعة كاتور ، في تمام الساعة السابعة والنصف .

ورجعت بعد المأدبة إلى منزلي ثانية ، حيث أويت الى فراشي ، اظن ان اجابتي هذه تفي بما سألتني إياه ؟

– في أية ساعة كانت عودتك الى المنزل لارتداء ثيابك استعداداً لحضور المأدبة ؟

– بعد السادسة بقليل ، على قدر ما أذكر .

– وبعد العشاء ؟

– أظن اني رجعت الى المنزل حوالي الحادية عشرة والنصف .

– من الذي قام بفتح الباب لك ؟

– ليدى اليس ، زوجتي تقيم في جنوب فرنسا منذ شهر ديسمبر ، ولذلك فتحت الباب بمفتاحي الخاص .

– إذن ، فلا يوجد من يؤيد أقوالك بالنسبة لساعة رجوعك إلى المنزل ؟

أظن ان الخدم شعروا بعودتي ، ولكن يا حضرة المفتش .

– معذرة ، مستر كراكنثورب ، اني أدرك ما تسببه هذه الأسئلة من ضيق . انني على وشك الفراغ من أسئلتي . هل لديك سيارة .

– اجل ، سيارة همبرهوك .

– هل تتولى قيادتها بنفسك ؟

– اجل ، مع العلم بأني لا اكثر من استعمالها ، لأن قيادة السيارات في لندن أصبحت شاقة .

– أظن انك تستقلها في زيارتك لوالدك واشقيقك في براكهامبتون ؟

– هذا إذا كانت اقامتي ستطول ، اما فيما عدا ذلك فإني اركب القطار

الذي اجد فيه راحة ومتعة . واجد السيارة التي تستأجرها شقيقتي في انتظاري بالمحطة !

ـ أين تحتفظ بسيارتك ؟

ـ في كراج خلف حدائق كاردجان ، هل ثمة أسئلة أخرى .

ـ اظن انه لا يوجد لدي مزيد منها في الوقت الحاضر ؛ آسف لما سببته لك من ضيق .

ونهض منصرفاً .. وتبعه ويذرول الذي بادره قائلاً ، بمجرد مغادرتهما لغرفة هارولد :

ـ لقد كان ممتعضاً من توجيه هذه الأسئلة اليه ، وكانت ملامح وجهه تختلج بانفعالاته .

ـ إذا لم تكن قد ارتكبت جريمة قتل ، فإنه لما يضيق به صدرك ، أن تشعر بأن احداً يرتاب فيك وبالذات اذا كنت من طراز هارولد كراكنثورب المعتز بكرامته .

ان كل ما نريد ان نتحقق منه الآن ، هو ان نتحرى عما اذا كان أحد ، قد شاهد هارولد ، في صالة المزاد ، بعد ظهر ذلك اليوم .

وكذلك الحال بالنسبة للمقهى الذي تناول قدح الشاي به !

لقد كان من الممكن أن يسافر بقطار الساعة ٥٤ ٠ ٤ ويرتكب جريمته ، ثم يعود بقطار آخر الى لندن لحضور مأدبة العشاء .

ويمكنه أيضاً ان يستقل السيارة ليلاً ، الى حيث يقوم بنقل الجثة الى التابوت ، ثم يقفل راجعاً .. فعليك بالتحري في هذا الاتجاه .

نعم يا سيدي ، هل ترى أن هذا هو ما قام به ؟

وأنى لي أن اعرف ؟ اننا نقوم بتقصي الحقائق في هذه المرحلة من التحقيق . ان كل ما نفعله يقوم على أساس من الظن والشك ، والآن هيا بنا

الى الأخ الفريد

* * *

كان الفريد كراكثورب يتخذ له مسكناً في بوست هامبستيد .

في بناية كبيرة عصرية ، ذات مساحة فسيحة لكي يودع السكان بها سياراتهم .

وكان المسكن حديث الأثاث ، وقد روعي فيه كل ما هو عصري من رياش مما يرجح ان الفريد يستأجر المسكن باثاثه .

وعلى الرغم من حرص الفريد على حسن استقبالهما ؛ الا انه لم يستطع ان يخفي عن كرادوك عصبيته .

وبعد ترحيب الفريد بالزائرين ؛ بادر المفتش كرادوك بسؤاله عما حدا به الى زيارته .

ولم يتوان كرادوك عن توجيه الأسئلة !

التي بدأ الفريد يجيب عليها :

— ماذا كنت افعل بعد ظهر ومساء يوم ٢٠ ديسمبر ؛ كيف اقدر ان اذكر ذلك ؟ لقد انقضت ثلاثة اسابيع !

— لقد كانت اجابة شقيقك هارولد واضحة محددة !

— ان الأخ هارولد شيء والأخ الفريد شيء آخر ! ان هارولد هو عضو الأسرة الناجح — رجل الأعمال الموفق وعلى فرض انه يريد ان يرتكب جريمة قتل ، فإنه يتقن توقيتها ويحكم تحركاته .

— هل لديك ما يحملك على انتهاج هذا الأسلوب ؟ لماذا قلت هذا المثل بالذات ؟

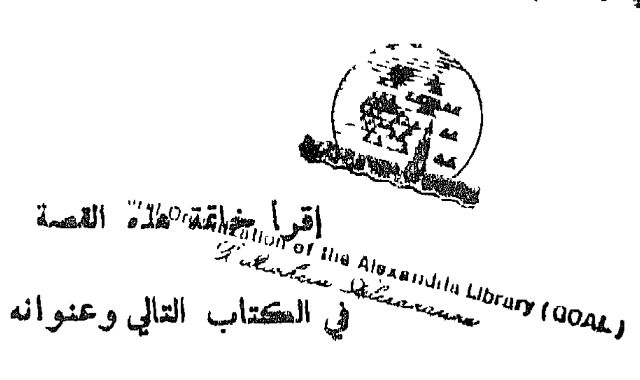
— كلا ، كل ما في الأمر انه طرأ على بالي .

— ولنعد الآن إلى ما استوضحناك إياه .

— لقد قلت لك أن ذاكرتي لا تعي زمناً او مكاناً ، فـإذا كان سؤالك مركزاً في يوم عيد الميلاد ، ربما تمكنت من إجابتـك ، لأنني أعرف أين قضيته ، لقد قضيته مع والدي في روذر فورد هول ، كما ألفنـا ذلك في كل عام .

— فهمت ان والدك كان مريضاً في هذا العيد ؟

— أجل ، ولكنهـا كانت حالة عارضة نتيجة الافراط في الطعـام والشراب لمناسبة العيد ، الأمر الذي لم تعتده إمعاؤه بناء على حياة الحرمان التي يفرضها على نفسه .



اقرأ خاتمة هذه القصة

في الكتاب التالي وعنوانه

رجل بلا وجه

12